عبد الحميد كشك

صور من عظمة الإسلام

« وأن هذا صراطى مستقيما فاتبعوه
ولا تتبعوا السبل فتفرق بكم عن سبيله
ذلكم وصاكم به لعلكم تتقون » .

الناشر
دار الاعتصام

عبد الحميد كشك

صور من



« وأن هـذا صراطي مسـتقيما فاتبعوه ولا تتبعوا السـبل فتفرق بكم عن سـبيله ذلكم وصاكم به لعلكم تتقون » .

الناشر
دار الاعتصام

الطبعة الثانية

سبتمبر سنة ١٩٧٣ م
شـعبان سنة ١٣٩٣ هـ

دار العلوم للطباعة بالقاهرة
ت : ٣١٧٤٨

بسم الله الرحمن الرحيم

الإهــــــداء

الحمد لله رب العــالمين واصلي واسلم صــلاة وتسليما يليقان بمقــام أمير الأنبياء وامام المرسلين ، وأشهد أن لا اله الا الله ولي الصــالحين ، واشهد أن سيدنا ونبينا وعظيمنـا وحبيبنا محمدا رسول الله خاتم الأنبياء والمرسلين •

صل اللهم وسلم وبارك على هــذا النبى الأمين ، وعلى آله وصحابته الغر الميـامين وارحم اللهم مشايخنا ووالدينـا وأمواتنا وأموات المسلمين أجمعين •

أما بعد ، فانني أتقــدم بكتابي هــذا راجيا الله العلي القدير أن يجعله خالصا لوجهه ، وأن ينفع به ، ويسدد به ، ويحيي به سنة النبي وهديه •

أهدى هذا الـكتاب الى كل مسلم فخور بدينه ، معتز بكتاب ربه وســـنة نبيه ، عارف بالله ، وأثق بأن العزة لله ولرسوله وللمؤمنين ، مطمئن القلب الى أن الاسلام هو دين الحق ، وانه لا حق الا الاسلام •

أهديه الى كل منصف مشتاق الى معرفة الحقيقــة دون تعصب ، ودون ميل الى الهوى •

الى كل منصف يقول : اللهم أرنا الحق حقا وارزقنــا اتباعه ، وأرنا الباطل باطلا وارزقنا اجتنابه ، (ربنا لا تزغ قلوبنا بعد اذ هــديتنا وهب لنا من لدنك رحمــة انك أنت الوهاب • ربنا انك جامع النــاس ليوم لا ريب فيــه ان الله لا يخلف الميعاد) •

(آل عمران ٨ ، ٩)

مقدمة الكتاب

اللهم انا نستعينك ، ونستهديك ، ونستغفرك ، ونتوب اليك ، ونؤمن بك ، ونتوكل عليك ، ونثني عليك الخير كله ، نشكرك ولا نكفرك ، ونخلع ونترك من يفجرك •

اللهم اياك نعبد ولك نصلي ونسجد ، واليك نسعى ونحفد ، نرجو رحمتك ونخشى عذابك ، ان عذابك الجد بالكفار ملحق • وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم •

أما بعد ، فان الاسلام هو شريعة العدل ، شريعة الحق ، شريعة الرحمة ، شريعة المحبة ، شريعة الله المتصف بصفات الجلال والكمال ، فماذا بعد الحق الا الضلال فأنى تصرفون •

ان هذا الكتاب سيسجل على صفحاته صورا مشرقة من عظمة الاسلام ، وكل ما فى الاسلام عظيم وجليل (ومن يبتغ غير الاسلام دينا فلن يقبل منه وهو فى الآخرة من الخاسرين) (آل عمران ٨٥) •

فاللهم انا نشهدك أننا قد رضينا بك ربا ، وبالاسلام دينا ، وبمحمد صلى الله عليه وسلم نبيا ، ان هذا الاسلام وسعت تعاليمه الدنيا والآخرة ، فهو دين القيادة والعبادة ، دين العزة والمصحف ، دين السلام والاسلام ، (لقد أرسلنا رسلنا بالبينات وأنزلنا معهم الكتاب والميزان ليقوم الناس بالقسط وأنزلنا الحديد فيه بأس شديد ومنافع للناس ، وليعلم الله من ينصره ورسله بالغيب ، ان الله قوى عزيز) (الحديد ٢٥) •

وصلى الله وسلم على صاحب الرسالة العصماء ، الذى رفع راية التوحيد عالية تناطح الجوزاء ، وتزاحم الشمس فى الجلاء ، بدأ مسيرة التوحيد من أول أن نزل عليه الوحى بقوله تعالى (اقرأ باسم ربك الذى خلق) (العلق ١) •

وظل فى مسيرته مرفوع الرأس ، عزيز الجانب ، موفور الكرامة ، لا يخشى جبروت الوليد بن المغيرة ، ولا ظلم أبى لهب ، ولا عدوان أبى جهل ، ولا قسوة أمية بن خلف •

وأخذت قافلة التوحيد تسير والذئاب تعوى ، وصاحب الرسالة يعلنها قوية لا غموض فيها ، صريحة لا لبس فيها « والله لو وضعوا الشمس فى يمينى ، والقمر فى يسارى ، على أن أترك هذا الأمر ما تركته حتى يظهره الله أو أهلك دونه » •

نعم لقد ظل ثابتا ثبات الجبال الراسيات ، الى أن توج الله رسالته بقوله (اليوم أكملت لكم دينكم ، وأتممت عليكم نعمتى ، ورضيت لكم الاسلام دينا) (المائدة ٣) •

جل الذى بعث الرسول رحيما ليرد عنا فى المعاد جحيما
وبه لنرجو جنة ونعيما أضحى على المولى الكريم كريما
يا أيها الراجون منه شفاعة صلوا عليه وسلموا تسليما

سئلت أم المؤمنين عائشة ، عن خلق رسول الله فقالت : كان خلقه القرآن •

واذا كان هناك من دعاة الانحلال وأعداء القيم من ينادى قائلا : ان الأخلاق قيد لا معنى له ، فان نبى الاسلام العظيم يعلنها فى سمع الزمان « انما بعثت لأتمم مكارم الأخلاق » •

وبعد أن أتم الله دعوته ، ولحق الرسول بالرفيق الأعلى ، قام بتبليغ شرع الله بعده رجال صدقوا ما عاهدوا الله عليه ، فانتشرت دعوة الاسلام فى طول الدنيا وعرضها ، حتى بلغت من حدود الصين شرقا الى فرنسا غربا ، ومن حدود سيبيريا شمالا الى المحيط الهندى جنوبا •

نعم : انهم رجال رباهم أستاذ الانسانية الأكبر •

كان فيهم أبو بكر الذى كان يقول : احرص على الموت توهب لك الحياة•
وكان فيهم عمر الذى سمع بعد وفاة رسول الله يبكى وهو يردد هذه الكلمات :

« السلام عليك يا رسول الله بأبى أنت وأمى ، لقد كنت تخطبنا على جذع نخلة فلما كثر الناس ، اتخذت منبرا لتسمعهم ، فحن الجذع لفراقك حتى جعلت يدك عليه فسكن ، فأمتك أولى بالحنين اليك لما فارقتها ، بأبى أنت وأمى يا رسول الله ، لقد بلغ من فضيلتك عنده أن جعل طاعتك طاعته ، فقال عز وجل « من يطع الرسول فقد أطاع الله » (النساء ٨٠) •

بأبى أنت وأمى يا رسول الله ، لقد بلغ من فضيلتك عنده : أن بعثك آخر الأنبياء ، وذكرك فى أولهم فقال عز وجل « واذ أخذنا من النبيين ميثاقهم ، ومنك ومن نوح وابراهيم وموسى وعيسى بن مريم وأخذنا منهم ميثاقا غليظا » (الأحزاب ٧) •

بأبى أنت وأمى يا رسول الله ، لقد بلغ من فضيلتك عنده أن أهل النار يودون أن يكونوا قد أطاعوك وهم بين أطباقهـا يعذبون ، « يقولون يا ليتنا أطعنا الله وأطعنا الرسولا » (الأحزاب ٦٦) .

بأبى أنت وأمى يا رســول الله ، لئن كان موسى بن عمران أعطاه الله حجرا تفجر منه الأنهار ، فليس ذلك بأعجب من أصابعك حين نبع منهـا المـاء ، صلى الله عليك يا سيدى يا رسول الله .

بأبى أنت وأمى يا رسول الله : لئن كان عيسى بن مريم أعطاه الله احياء الموتى ، فما هذا بأعجب من الشاة المسمومة حين كلمتك وهى مشوية فقالت لك الذراع « لا تأكلنى فانى مسمومة » .

بأبى أنت وأمى يا رسول الله ، لقد دعا نوح على قومه فقال « رب لا تذر على الأرض من الكافرين ديارا » (نوح ٢٦) .

ولو دعوت علينا بمثلها لهلكنا كلنا ، فلقد وطىء ظهرك عقبة بن أبى معيط وأنت تصلى وأدمى وجهك ، وكسرت رباعيتك يوم أحــد ، فأبيت أن تقول الا خيرا ، فقلت « اللهم اغفر لقومى فانهم لا يعلمون » .

بأبى أنت وأمى يا رسول الله ، لقــد بلغ من تواضعك أنك جالستنا وتزوجت منا ، وأكلت معنا ، ولبست الصــوف وركبت الدواب ، وأردفت خلفك ، ووضعت طعامك على الأرض تواضعا منك صلى الله عليك وسلم .

رضى الله عنك يا عمر ، يا من أحببت رسول الله وأحبك الله ورسوله ، فالى أن نلقاك فى دار تجمع سلامة الأبدان والأديان .

شخصية الرسول ﷺ

ما ضل عن وحى الإله وما غوى

حاشا رسولَ الله ينطق عن هوى

الصادق الثقة الأمين بما روى

قد نال من رب السماء علوما

يقول الباحثون فى العلوم الإنسانية « إن الشخصية هى مجموعة العوامل الخِلقية ، والخُلقية ، والعقلية » .

ونحن إذا مابحثنا هذه العوامل الثلاثة مجتمعة رأيناها قد بلغت حد الكمال وذروة السمو فى رسول الله ﷺ ، فهو المثل الكامل ، والإنسان الفاضل ، الذى خلقه الله وجمله ، وبمعانى الخلق الكريم فضله ، وبالعقل الرشيد والمنطق السديد حصنه وزينه .

الجانب الخلقى

سيدى يا رسول الله :

خُلقت مبرأ من كل عيب ... كأنك قد خلقت كما تشاء
فأجمل منك لم تر قط عينى ... وأفضل منك لم تلد النساء

وهاهو ذا الصحابى الجليل أبو هريرة يحدثنا عن رسول ﷺ وصفته الخِلقية ، فى عبارة موجزة المبنى ، عظيمة المعنى فيقول :

« ما رأيت أجمل من رسول الله ﷺ ، لكأنما تجرى الشمس فى وجهه ، وما كان أحد أسرع فى مشيته منه ، كأنما تطوى الأرض تحته طيا ، ولقد كنا نمشى معه فنجهد وهو غير مكترث »

ولكى نزيد هذا المعنى وضوحاً وجلاءً ، فإننا نسجل هذه الصورة القلمية لشخص رسول الله ﷺ لتكون بديلا عن الصورة الشمسية ، وذلك كما ورد فى كتب السنة الصحيحة ، فقد روت فى صفة رسول الله الجسمية هذه الصفات :

لم يكن رسول الله ﷺ بالطويل البائن(١) ، ولا بالقصير المتردد(٢) بل كان ينسب إلى الربعة(٣) إذا مشى وحده ، ومع ذلك لم يكن يماشيه أحد ممن ينسب إلى الطول إلا طاله رسول الله ﷺ . ويقول ﷺ : « جعل الخير كله فى الربعة »

---

(١) فاحش الطول .
(٢) المتناهى فى القصر .
(٣) بين الطول والقصر .

وأما لونه فقد كان أُزهر[1] اللون . ولم يكن بالآدم[2] ، ولا بالشديد البياض .

وأما شعره فقد كان رَجْل[3] الشعر حسنه ، ليس بالسبط[4] ولا بالجعد[5] ولا بالقطط[6] . وكان إذا مشط بالمشط يأتى كأنه حُبك الرمل

وكان ﷺ أحسن الناس وجهاً ، وأنورهم ، لم يصفه واصف إلا شبهه بالقمر ، وكان يرى غضبه ورضاه فى وجهه لصفاء بَشَرته .

وكانوا يقولون : هو كما وصفه صاحبه أبو بكر الصديق رضى الله عنه حيث يقول :

أمين مصطفى للخـــير يدعو   كضوء البـدر زايله الظلام

وكان ﷺ واسع الجبهة ، أزج[7] الحاجبين سابغهما[8] وكان أبلج[9] ما بين الحاجبين وكانت عيناه نجلاوين[10] وكان ﷺ أدعج[11] العينين، أشكل العينين[12] وكان أهدب الأشفار[13] ، حتى تـكاد تلتبس من كثرتها . وكان مستوى الأنف ، وكان مفلج الأنسان ، أى متفرقها . وكان إذا افتر ضاحكا

---

(١) مشرق مضىء وأبيض مشرب بحمرة
(٢) الأسمر .
(٣) ليس بسبط ولا جعد .
(٤) مسترسل ليس فيه تثن أصلا .
(٥) فيه التواء وانقباض .
(٦) هو الشعر شديد الجعودة كشعر الزنج .
(٧) المقوس الطويل والوفر الشعر .
(٨) السابغ يعنى الـكامل .
(٩) أى بين حاجبيه فاصل لطيف .
(١٠) واسعتين .
(١١) شديد سواد العين .
(١٢) الشكلة حمرة فى بياض العين . وهى من علامات النبوة .
(١٣) طويل شعر الأجفان .

افتر عن مثل سنا البرق إذا تلألأ . وكان من أحسن الناس شفتين ، وألطفهم ختم فم ، وكان سهل الخدين صلبهما ، ليس بالطول الوجه ، ولا المكلثم[1] كث اللحية ، يعفى لحيته ويأخذ من شاربه ؛ وكان أحسن عباد الله عنقاً ، لا ينسب إلى الطول ولا إلى القصر ، ماظهر من عنقه للشمس والرياح فكأنه إبريق فضة مشرب ذهباً ، يتلألأ فى بياض الفضة ، وفى حمرة الذهب .

وكان ﷺ أجود الصدر[2] ، عريض الصدر ، لايعدو لحم بعض بدنه بعضاً ، كالمرآة فى استوائها ، وكالقمر فى بياضه ، موصول مابين لبته[3] وسرته بشعر دقيق كالقضيب . لم يكن فى صدره وبطنه شعر غيره . وكان عظيم المنكبين أشعرهما ، ضخم الكراديس (أى رءوس العظام من المنكبين والمرفقين والوركين) وكان واسع الظهر ، ما بين كتفيه خاتم النبوة ، وهو مما يلى منكبه الأيمن فيه شامة سوداء تضرب إلى الصفرة ، حولها شعرات متواليات كأنها من عرف فرس . وكان ممتلىء الذراعين والعضدين ، طويل الزندين (أى الذراعين) رحب الراحتين (أى الكفين) سائل الأطراف (أى طويل الأصابع) كأن أصابعه قضبان الفضة ، كفه ألين من الحرير ، كأنه كف عطار (أى طيبة الرائحة ، سواء مسها بطيب أم لم يمسها) .

وكان ممتلىء ماتحت الإزار (أى الوسط إلى الفخذين والساق) وكان معتدل الخلق فى السمن .

وأما مشيه ﷺ فكان يرفع رجله من الأرض بهمّة وقوة ، ويمشى فى تثبت وأناة ، ويميل إلى الأمام كالسفينة فى جريها ، ويمشى الهوينى[4] بغير تبختر وكان رسول الله ﷺ يقول « كان أبى إبراهيم أشبه الناس بى خَلْقا وخُلقاً »

---

(١) المدور .

(٢) كناية عن خلوه من الحقد والغل .

(٣) النقرة التى فوق الصدر أو موضع القلادة منه .

(٤) أى متواضعا ولا يمنع ذلك أن يكون مسرعا فى مشيته .

الجانب الخُلقى

سيدى أبو القاسم يارسول الله . . .

يامن له الأخلاق ما تهوى العُلا
منها ومـــا يتعشق الـكبراء
زانتك فى الخلق العظيم شمائلٌ
يُغرَى بهن ويُولع الـكرماء

ظل رسول الله ﷺ أربعين سنة قبل البعثة يلقب بالصادق الأمين، وهذه الـكلمة لها خطورتها ومـكانتها ، ومغزاها ومعناها ، فالصدق والأمانة هما الأساس الأول لبناء النفس المستقيمة ، وتـكوين الخلق السوى ، ولهذا فإنه ﷺ عمل تاجراً فى مال خديجة قبل أن يوحى إليه ، فما رأت منه إلا كرم الأخـلاق ، وحميد السجايا ، ورفيع الشمائل ، كما كان يخبرها بذلك ميسرة غلامها الذى كان يصحب الرسول فى تحركاته ، ما عهد عليه كذباً ، ولا تطفيفاً فى الـكيل ، ولا نقصاً فى الميزان ، وما عهد عليه كذباً فى حلف ، بل رآه صورة متكاملة ، رآه سمحاً إذا باع ، سمحاً إذا اشترى، سمحاً إذا قضى ، سمحاً إذا اقتضى ، فماذا كان من خديجة ؟ ـ ومكانتها فى قريش مكانتها ، وعلو قدرها معروف — لقد أرسلت صديقتها نفيسة بنت منية لتخطب لها محمد بن عبد الله ، وكان عنده من العمر يوم ذاك خمس وعشرون سنة ، وهى شارفت على الأربعين .

لماذا خطبته لنفسها ؟

هل خطبته لأنه واسع الثراء ، باذخ الغنى ؟ كلا :

إن الحقائق تثبت أنه يوم مات عبد الله بن عبد المطلب لم يترك لابنه محمد إلا خمسة من الإبل ، وبعض رؤوس الغنم ، وجارية هى أم أيمن .

هل خطبته طمعاً فى حسبه أو نسبه ؟ إنها الحسيبة النسيبة التى طرق بابها كثير من عظماء قريش ، فأبت أن تكون لهم زوجة ، لأنها نظرت إليهم نظرة العاقل المتدبر ، فوجدتهم طلاب مال خديجة ، وليسوا طلاب خديجة .

المرء فى زمن الإقبال كالشجرة
والناس من حولها مادامت الثمرة
حتى إذا راح عنها حملها انصرفوا
وخلفوها تقاسى الحر والغبرة

نعم ! إن هذا النظر البعيد ، هو الذى يواكب حقائق الحياة .

إذا قل مالى فما خل يصاحبنى — وفى الزيادة كل الناس خلانى
كم من عدو لأجل المال صادقنى — وكم صديق لفقد المال عادانى

إذن لماذا خطبت خديجة محمد بن عبد الله لنفسها ؟

خطبته لأنها وجدت فيه الإنسان الكامل ، والمثل الأعلى ، والقدوة الطيبة ، والأسوة الحسنة ، إنه الصادق الأمين .

وقَبِلَ رسول الله ﷺ هذه الخطبة .

وليلة زفافه على خديجة وقف أبو طالب عمه يلقى هذا الخطاب الذى يعتبر وثيقة تاريخية صريحة سجلت الجانب الخلقى الذى تحلى به الحبيب محمد قبل البعثة .

ماذا قال أبو طالب ؟

قال : أيها الناس : الحمد لله الذى جعلنا من ذرية إبراهيم ، وزرع إسماعيل ،

وجعل لنا بيتاً محجوجاً وبلداً حراماً ، وجعلنا الحكام على الناس . أما بعد ، فإن محمد بن عبد الله ابن أخي، لا يوزن به فتى من قريش إلا رجح به براً وفضلا ، وكرماً وعقلا ، ومجداً ونبلا ، وإن كان في المال قِلاً ، فالمال ظل زائل ، وعارية مسترجعة ، وإن لمحمد بن عبد الله ابن أخي رغبة في خديجة ، ولها فيه مثل ذلك ، وما طلبتم من الصداق فعليّ .

هذه خطبة الزواج التي ألقاها أبو طالب وإنها لتفيض بالمعاني السامية ، والحقائق الثابتة ، التي لا مراء فيها ولا لبس ، ولا جدال ولا غموض ، وتتحرك الأعوام ، ويدور الفلك ، ويخلو الرسول في غار حراء يتأمل في رحاب الكون ، سماوات ذات أبراج ، وبحار ذات أمواج ، وأرض ذات فجاج ، كون هو كتاب سطرته يد القدرة ، وخطه الجلال بأسمى معاني الحكمة .

سل الواحة الخضراء والماء جاريا ... وهذى الصحارى والجبال الرواسيا
سل الروض مزدانا سل الزهر والندى ... سل الليل والإصباح والطاير شاديا
وسل هذه الأنسام والأرض والسما ... وسل كل شيء تسمع الحمد ساريا
فلوجن هذا الليل وامتد سرمدا ... فمن غير ربي يرجع الصبح ثانيا
ولو غاض هذا الماء في القاع هل لكم ... سوى الله يجريه كما شاء راويا
ولو أن هذى الريح ثارت وأعصرت ... أفي كونكم من يمسك الريح ناهيا
ألا أيها البحاث ما بال بحثكم ... توقف مشدوها لدى الكون واهيا

لو سألت هذا العالم من عرشه إلى فرشه ، ومن سمائه إلى أرضه ، وقلت له : من خالقك ؟ لأجابك بلسان الحال والمقال : أنا مخلوق للواحد الديان .

(تسبح له السماوات السبع والارض ومن فيهن ، وإن من شيء إلا يسبح بحمده ولكن لا تفقهون تسبيحهم إنه كان حليما غفوراً) [الاسراء ٤٤]

وهكذا أخذ الرسول يقلب الطرف فى أرجاء البسيطة ، حتى هبط عليه سفير الأنبياء وكبير أمناء وحى السماء بقول البارى تبارك اسمه (اقرأ باسم ربك الذى خلق . خلق الإنسان من علق . اقرأ وربك الأكرم . الذى علم بالقلم . علم الإنسان مالم يعلم) [العلق ١ ـ ٥]

وهذا أمر تكوين ، كأن المقصود بقوله تعالى: (اقرأ) كن قارئاً يا محمد ، فكان كما أراد الله ، ولم تكن القراءة بمعناها المحدود ذات حروف وسطور ، إنما كانت أوسع دائرة . وأرحب أفقاً .

تأمل سطور الكائنات فإنها   من الملأ الأعلى إليك رسائل

اقرأ (والشمس وضحاها . والقمر إذا تلاها . والنهار إذا جلاها . والليل إذا يغشاها . والسماء وما بناها . والأرض وماطحاها . ونفس وماسواها . فألهمها فجورها وتقواها) [الشمس ١ ـ ٨]

اقرأ (أفلم ينظروا إلى السماء فوقهم كيف بنيناها وزيناها وما لها من فروج . والأرض مددناها وألقينا فيها رواسى وأنبتنا فيها من كل زوج بهيج . تبصرة وذكرى لكل عبد منيب . ونزلنا من السماء ماء مباركا فأنبتنا به جنات وحب الحصيد . والنخل باسقات لها طلع نضيد . رزقاً للعباد وأحيينا به بلدة ميتاً كذلك الخروج) [ق ٦ ـ ١١] .

اقرأ يا محمد (إن فى خلق فى السماوات والأرض واختلاف الليل والنهار والفلك التى تجرى فى البحر بما ينفع الناس وما أنزل الله من السماء من ماء فأحيا به الأرض بعد موتها وبث فيها من كل دابة وتصريف الرياح والسحاب المسخر بين السماء والأرض لآيات لقوم يعقلون) [البقرة ١٦٤] .

اقرأ يا محمد (خلق السماوات والأرض بالحق تعالى عما يشركون . خلق الإنسان من نطفة فإذا هو خصيم مبين) [النحل ٣ ـ ٤] .

إقرأ يا محمد (وسخر لكم الليل والنهار والشمس والقمر والنجوم مسخرات بأمره إن فى ذلك لآيات لقوم يعقلون . وما ذرأ لكم فى الأرض مختلفاً ألوانه إن فى ذلك لآية لقوم يذكرون.وهوالذى سخر البحر لتأكلوا منه لحماً طرياً وتستخرجوا منه حلية تلبسونها ،وترى الفلك مواخر فيه ولتبتغوا من فضله ولعلكم تشكرون) . [النحل ١٢ ـ ١٤]

سبحانك ربى يا من شهد بحكمته الليل إذا يغشى ،ونطق بجلاله النهار إذا تجلى ، وسبح بحمده العالم الأدنى ، والملأ الأعلى .

هذه هى الحقيقة العليا التى انطلق بها السيد الجليل رسول الله ﷺ من غار حراء ، إلى بيته حيث الزوجة الوفية خديجة بنت خويلد ، وقد اعتراه من الملك شىء من الرعدة ، دخل على خديجة يقول « زملونى زملونى » .

فماذا قالت له خديجة رضى الله عنها هل تنكرت لمعاشرة طالت خمسة عشر عاماً ؟ أو وقفت موقف اللامبالاة ؟ أو اعتزلته مكاناً قصياً ؟ أو كانت منه فى جفاء وغلظة ؟ ؟ كلا . لقد كان مثالا يحتذى، لقد قالت له : والله لايخزيك الله أبداً ، ودعمت حكمها هذا بست حيثيات . قالت له :

١ ـ إنك لتصل الرحم .
٢ ـ وتصدق الحديث .
٣ ـ وتحمل الكلّ .
٤ ـ وتكسب المعدوم .
٥ ـ وتقرى الضيف .
٦ ـ وتعين على نوائب الدهر .

وقبل أن نفيض فى تفصيل هذه الحيثيات الست يجدر بنا أن نذكر حقيقة الوحى ، ونعقب عليها بالرد على الدعوى الباطلة التى أثارها أعداء الإسلام من المستشرقين ، ومن لف لفهم ، وصار فى فلكهم من المستغربين ، وذلك لأهمية هذه القضية .

الوحي

ما هو ؟ :

الوحي بمعناه الشرعي حقيقة يشترك فيها الأنبياء جميعا ، وهو إعلام الله تعالى لنبي من أنبيائه بحكم شرعي ونحوه .

وقد يطلق أيضاً على كلام الله المنزل على النبي ﷺ .

وجاء في تعريف الوحي أيضاً عند بعض العلماء أنه عرفان يجده الشخص في نفسه مع اليقين بأنه من عند الله بواسطة وبغير واسطة . قال الله تعالى (وما كان لبشر أن يكلمه الله إلا وحياً ، أو من وراء حجاب،أو يرسل رسولا فيوحي بإذنه ما يشاء إنه عليّ حكيم. وكذلك أوحينا إليك روحاً من أمرنا ، ما كنت تدري ما الكتاب ولا الإيمان ، ولكن جعلناه نوراً نهدي به من يشاء من عبادنا وإنك لتهدي إلى صراط مستقيم . صراط الله الذي له ما في السماوات وما في الأرض ألا إلى الله تصير الأمور [الشورى ٥١ ـ ٥٣]

ويقطع هذا النص بأنه ليس من شأن إنسان أن يكلمه الله إلا وحياً .

وإنما يتم كلام الله للبشر بواحدة من ثلاث .

١ ـ إما أن يكون وحياً ، بمعنى أن الله يلقي في النفس مباشرة فتعرف أنه من الله .

٢ ـ وإما أن يكون من وراء حجاب ، كما كلم الله موسى عليه السلام حين طلب الرؤية ولم يجب إليها ، ولم يطق تجلي الله على الجبل (وخر موسى صعقاً ، فلما أفاق قال سبحانك تبت إليك وأنا أول المؤمنين) .

٣ ـ وإما إن يرسل رسولاً ، وهو الملك (فيوحي بإذنه مايشاء) .

صور الوحي التي وردت عن رسول الله ﷺ

الأولى : ما كان يلقيه الملك فى روعه وقلبه من غير أن يراه ، كما قال ﷺ « إن روح القدس نفث فى روعى أنه لن تموت نفس حتى تستكمل رزقها فاتقوا الله وأجملوا فى الطلب » .

والثانية : أنه كان ﷺ يتمثل له الملك رجلا فيخاطبه حتى يعى عنه ما يقول .

والثالثة : أنه كان يأتيه فى مثل صلصلة الجرس ، وكان أشده عليه ، حتى أن جبينه ليتفصد عرقاً فى اليوم الشديد البرد ، وحتى أن راحلته لتبرك به إلى الأرض إن كان راكبها . ولقد جاء الوحى مرة كذلك وفخذه على فخذ زيد بن ثابت فثقلت عليه حتى كادت تردها .

والرابعة : أنه يرى الملك فى صورته التى خلق عليها فيوحى اليه ما شاء الله أن يوحيه ، وهذا وقع له مرتين ، كما ذكر الله ذلك فى سورة النجم (علمه شديد القوى . ذو مرة فاستوى . وهو بالأفق الأعلى ثم دنا فتدلى . فكان قاب قوسين أو أدنى . فأوحى إلى عبده ما أوحى . ما كذب الفؤاد ما رأى . أفتمارونه على ما يرى . ولقد رآه نزلة أخرى . عند سدرة المنتهى . عندها جنة المأوى) .

هذه صور الوحى وطرق الاتصال . (إنه على حكيم) يوحى من علو ، ويوحى بحكمة إلى من يختار .

قال بعض المحققين : إنه ما من مرة وقفت أمام آية تذكر الوحى ، أو حديث يتكلم عنه ، لا تأمل هذا الاتصال ، إلا أحسست له رجفة فى أوصالى .

كيف . . كيف يكون هذا الاتصال بين ذات الله الأزلى الأبدى الذى ليس له حيز فى المكان ، ولا حيز فى الزمان . المحيط بكل شىء والذى ليس كمثله شىء . كيف يكون هذا الاتصال بين ذات الله العلى ، وذات الإنسان المتحيزة فى المكان والزمان ، المحدودة بحدود المخلوقات ، من أبناء الفناء ؟ !

ثم كيف يتمثل هذا الاتصال معانى وكلمات وعبارات ؟ وكيف تطيق ذات محدودة فانية أن تتلقى كلام الله الأزلى الأبدى، الذى لاحيز له ولا حدود، ولا شكل له معهود ، وكيف ؟ وكيف ؟ وكيف ؟ ولكنى أعود فأقول : ومالك تسأل عن كيف ؟ وأنت لا تملك أن تتصور إلا فى حدود ذاتك المتحيزة القاصرة الفانية ؟ !

لقد وقعت هذه الحقيقة وتمثلت فى صورة وصار لها وجود ، هو الذى تملك أن تدركه من وجود . ولكن الوهلة والرجفة والروعة لاتزول ! إن النبوة هذه أمر عظيم حقاً . وإن لحظة التلقى هذه لعظيمة حقاً . تلقى الذات الإنسانية لوحى من الذات العلوية .

أخى الذى تقرأ هذه الكلمات . . أأنت معى فى هذا التصور ؟ ! أأنت معى تحاول أن تتصور ؟ ! هذا الوحى الصادر من هناك . أأقول (هناك) ؟ ! كلا . إنه ليس هناك (هناك) الصادر من غير مكان ولا زمان لاحيز ولا حد ولا جهة ولا ظرف . الصادر من المطلق النهائى الأزلى الأبدى . . الصادر من الله ذى الجلال . إلى إنسان . . إنسان . . مهما يكن نبياً رسولا ، فإنه هو هذا الإنسان ذو الحدود والقيود . . هذا الوحى . هذا الاتصال العجيب المعجز الذى لا يملك إلا الله أن يجعله واقعة تتحقق ، ولا يعرف إلا الله كيف يقع ويتحقق .

أخى الذى تقرأ هذه الكلمات ، هل تحس ما أحس من وراء هذه العبارات

المتقطعة التي أحاول أن أنقل بها ما يخالج كياني كله ؟ إني لا أعرف ماذا أقول عما يخالج كياني كله من الروعة والرجفة ، وأنا أحاول لأن أتصور ذلك الحديث العظيم العجيب الخارق في طبيعته ، والخارق في صورته ، الذي حدث مرات ومرات ،وأحس بحدوثه ناس رأوا مظاهره رأي العين على عهد رسول الله ﷺ.

وهذه عائشة رضي الله عنها تشهد من هذه اللحظات العجيبة في تاريخ البشرية ، فتروي عن واحدة منها فتقول: قال رسول الله ﷺ : « ياعائشة هذا جبريل يقرئك السلام . قلت : وعليه السلام ورحمة الله قالت : وهو يرى مالا نرى » أخرجه البخاري .

وهذا زيد بن ثابت رضي الله عنه يشهد مثل هذه اللحظة ، وفخذ رسول الله ﷺ على فخذه ، وقد جاءه الوحي ، فثقلت حتى كادت ترد فخذه .

وهؤلاء هم الصحابة رضوان الله عليهم في مرات كثيرة يشهدون هـذا الحادث ، ويعرفونه في وجه رسول الله ﷺ فيدعونه للوحي ، حتى يُسرُ عنه فيعود إليهم ويعودون إليه .

ثم . . أية طبيعة . طبيعة هذه النفس التي تتلقى ذلك الاتصال العلوي الكريم ؟

أي جوهر من جواهر الأرواح ذلك الذي يتصل بهذا الوحي ، ويختلط بذلك العنصر، ويتسق مع طبيعته وفحواه ؟

إنها هي الأخرى مسألة ! إنها حقيقة . ولكنها تتراءى هنالك بعيداً على أفق عال ومرتقى صاعد ، لاتكاد المدارك تتملاه ! روح هذا النبي ﷺ روح هذا الإنسان . كيف ياترى كانت تحس بهذه الصلة وهذا التلقي ؟

كيف كانت تنفتح ؟ كيف كان ينساب فيها ذلك الفيض ؟ كيف كانت تجسد الوجود في هذه اللحظات العجيبة التي يتجلى فيها الله على الوجود ، والتي تتجاوب جنباته كلها بكلمات الله ؟

ثم : أية رعاية ؟ وأية رحمة ؟ وأية مكرمة ؟ والله العلي الكبير يتلطف فيعنى بهذه الخليقة الضئيلة المسماة بالإنسان، فيوحى إليها لإصلاح أمرها وإنارة طريقها ، ورد شاردها ، وهى أهون عليه من البعوضة على الإنسان ، حين تقاس إلى ملكه الواسع العريض ؟ !

إنها حقيقة . ولكنها أعلى وأرفع من أن يتصورها الإنسان ، إلا مطلعاً إلى الأفق السامق الوضيء .

قوله تعالى (وكذلك أوحينا إليك روحاً من أمرنا ما كنت تدرى ما الكتاب ولا الإيمان ولكن جعلناه نوراً نهدى به من نشاء من عبادنا وإنك لتهدى إلى صراط مستقيم . صراط الله الذى له ما فى السموات وما فى الأرض ألا الى الله تصير الأمور) .

يريد الله تبارك وتعالى أن يقول لصفوة خلقه : ومثل الوحى الذى أوحيناه إلى الأنبياء السابقين عليك ، أوحينا إليك روحاً من أمرنا ، فيه حياة يبث الحياة ويدفعها ، ويحركها وينميها فى القلوب ، وفى الواقع العملى المشهود (ما كنت تدرى ما الكتاب ولا الإيمان) .

والمقصود بهذا النص هو اشتمال قلب الحبيب محمد ﷺ على هذه الحقيقة ، حقيقة الكتاب والإيمان ، والشعور بها ، والتأثر بوجودها فى الضمير ، وهذا ما لم يكن قبل هذا الروح من أمر الله الذى لابس قلب محمد ﷺ (ولكن جعلناه نوراً نهدى به من نشاء من عبادنا) .

وهذه طبيعته الخالصة ، طبيعة هذا الوحى هذا الروح ، هذا الكتاب ، إنه نور ، نور تخالط بشاشته القلوب التى يشاء لها الله أن تهتدى به ، بما يعلمه من حقيقتها ، ومن مخالطة هذا النور لها (وإنك لتهدى إلى صراط مستقيم) .

هذا توكيد على تخصيص هذه المسألة ، مسألة الهدى بمشيئة الله جل شأنه ،

وتجريدها من كل ملابسة ، وتمايقا بالله وحده ، يقدرها لمن يشـــاء بعلمه الخاص ، الذى لا يعرفه سواه ، والرسول ﷺ واسطة لتحقيق مشيئة الله ، فهو لا ينشىء الهدى فى القلوب ، ولـكن يبلغ الرسالة ، فتقع مشيئة الله (وإنك لتهدى إلى صراط مستقيم . صراط الله الذى له ما فى السماوات وما فى الأرض) فهى الهداية إلى طريق الله الذى تلتقى عنـده المسالك ، لأنه الطريق إلى المالك (الذى له ما فى السموات وما فى الأرض) .

فالذى يهتدى إلى طريقه يهتدى إلى ناموس السماوات والأرض ، وقوى السماوات والأرض ، ورزق السماوات والأرض ، واتجاه السماوات والأرض، إلى ما لـكها العظيم ، الذى إليه تتجه ، والذى إليه تصـــير (ألا إلى الله تصير الأمور) .

فـكلها تنتهى إليه ، وتلتقى عنده ، وهو يقضى فيها بأمره ، وهذا النور يهدى إلى طريقه ، الذى اختار للعباد أن يسيروا فيه ، ليصيروا إليه فى النهاية مهتدين طائعين .

ومن الجدير بالذكر أن هذه السورة التى ختمت بآيات الوحى قد بدأت بالحديث عن الوحى ، أنها سورة الشورى ، التى بدأها الله تعالى بقوله . (حم عسق . كذلك يوحى إليك وإلى الذين من قبلك الله العزيز الحـكيم) لقد كان الوحى محورها الرئيسى ، وقد عالجت قصة الوحى منذ النبوات الأولى لتقرر وحدة الدين ، ووحدة المنهج ، ووحدة الطريق ، ولتعلن القيادة الجديدة للبشرية ، ممثلة فى رسالة سيدنا محمد ﷺ ، وفى العصبة المؤمنة بهذه الرسالة ، ولتلقى على عاتق هذه العصبة أمانة القيادة إلى صراط مستقيم ، صراط الله الذى له ما فى السماوات وما فى الأرض ، ولتبين خصائص هذه العصبة وطابعهـــا المميز الذى تصلح به للقيادة ، وتحمل به هذه الأمانة ، الأمانة التى تنزلت من السماء إلى الأرض ، عن ذلك الطريق العجيب العظيم .

بشائر النبوة

بعد الفراغ من تعريف الوحى ، وأنه حقيقة واقعة ، يشترك فيها جميع الأنبياء ، فإن للوحى بشائر قبل نزوله ، تبعث الأمن والطمأنينة فى قلب النبى الذى يوحى إليه ، ألا وهى الرؤيا الصالحة .

عن ابن مسعود رضى الله عنه قال : أول مايؤتى به الأنبياء فى المنام ، حتى تهدأ قلوبهم ثم ينزل الوحى بعد فى اليقظة .

قد روت عائشة — رضى الله عنها — فى حديث بدء الوحى أنه أول ما بدىء به رسول الله ﷺ الرؤيا الصالحة ، فكان لا يرى رؤيا إلا جاءت مثل فلق الصبح .

صور الوحى

وهى كثيرة متنوعة كما روت عائشة رضى الله عنها أن الحارث بن هشام سأل رسول الله ﷺ ، فقال يا رسول الله كيف يأتيك الوحى؟ فقال رسول الله ﷺ : أحيانا يأتينى مثل صلصلة الجرس ، وهو أشده على ، فينفصم عنى وقد وعيت عنه ما قاله . وأحيانا يتمثل لى الملك رجلا فيكلمنى فأعى ما يقول ، قالت عائشة رضى الله عنها : ولقد رأيته ينزل عليه الوحى فى اليوم الشديد البرد فينفصم عنه وإن جبينه ليتفصد عرقا » .

الصحابه يشاهدون ساعة الوحى

ويجدر بنا فى هذا المقام أن نذكر أن هناك كثرة من الصحابة قد أبصروا الملك جبريل الأمين وقد تمثل فى صورة بشرية حسنة الهيئة ، وهو يجلس ويخاطب رسول ﷺ ، وهذه بعض المشاهد التى رويت فى ذلك :

أخرج الإمام أحمد فى مسنده والخرايطى فى مكارم الأخلاق عن طريق أبى العالية عن رجل من الأنصار قال : « خرجت مع أهلى أريد النبى ﷺ ، فإذا به قائم ومعه رجل يقبل عليه ، فظننت أن لها حاجة ، قال الأنصارى : لقد قام رسول الله ﷺ حتى جعلت أرثى له من طول القيام ، فلما انصرف قلت : يا رسول الله ، لقد قام بك هذا الرجل حتى جعلت أرثى لك من طول القيام ، قال : ولقد رأيته ؟ قلت : نعم ، قال : أتدرى من هو ؟ قلت : لا . قال : ذاك جبريل مازال يوصينى بالجار حتى ظننت أنه سيورثه ثم قال : أما إنك لو سلمت رد عليك السلام » .

وأخرج أبو موسى المدينى فى المعرفة عن تميم بن سلمة قال « بينما أنا عند رسول الله ﷺ إذ انصرف من عنده رجل فنظرت إليه موليا معتما بعمامة قد أرسلها من ورائه ، قلت : يا رسول الله من هذا ؟ قال جبريل » .

وأخرج أحمد والطبرانى فى الدلائل عن حارثة بن النعمان قال « مررت على رسول الله ﷺ ومعه جبريل ، فسلمت عليه ومررت ، فلما رجعنا وانصرف النبى ﷺ قال : هل رأيت الذى كان معى ؟ قلت : نعم ، قال : فإنه جبريل وقد رد عليك السلام » .

وأخرج أحمد والبيهقي عن ابن عباس قال « كنت مع أبي عند رسول الله ﷺ وعنده رجل يناجيه ، فكان كالمعرض عن أبي ، فخرجنا ، فقال لي أبي : يا بني ألم تر أن ابن عمك كالمعرض عني ؟ قلت : يا أبت إنه كان عنده رجل يناجيه ، فرجع فقال لرسول الله ﷺ : قلت لعبد الله كذا وكذا ، فقال إنه كان عندك رجل يناجيك ، فهل كان عندك أحد ؟ قال . وهل رأيته يا عبد الله ؟ قلت . نعم ، قال : ذاك جبريل هو الذي شغلني عنك » .

وأخرج ابن سعد عن ابن عباس قال : رأيت جبريل مرتين

وأخرج أبو بكر بن أبي داود في كتاب المصاحف عن أبي جعفر قال : كان أبو بكر يسمع مناجاة جبريل للنبي ﷺ .

وأخرج الحاكم عن عائشة رضي الله عنها قالت : « رأيت جبريل وقفاً في حجرتي هذه ، ورسول الله ﷺ يناجيه ، فقلت : يا رسول الله من هذا ؟ قال : بمن شبهت ، قالت : بدحية الكلبي — وهو صحابي من أصحاب رسول الله ﷺ — قال رسول الله ﷺ لعائشة : لقد رأيت جبريل » .

وجاء في صحيح الإمام مسلم أن جابر بن عبد الله الأنصاري — وكان من أصحاب رسول الله ﷺ - كان يحدث قال : قال رسول ﷺ ، وهو يحدث عن فترة الوحي ، قال في حديثه : فبينا أنا أمشي سمعت صوتاً في السماء ، فرفعت رأسي فإذا الملك الذي جاءني بحراء جالساً على كرسي بين السماء والأرض ، قال رسول الله ﷺ : فرجعت فقلت: زملوني ، فدثروني ، فأنزل الله تبارك وتعالى (يا أيها المدثر قم فأنذر . وربك فكبر وثيابك فطهر والرجز فاهجر) .

ومن حديث أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها في صحيح الإمام مسلم عند قوله تعالى (ولقد رآه بالأفق المبين) (ولقد رآه نزلة أخرى) فقالت : أنا

أول هذه الأمة سأل عن ذلك رسول الله ﷺ ، فقال : « إنما هو جبريل لم أره فى صورته التى خلق عليها غير هاتين المرتين ، رأيتــه منهبطـاً من السماء ساداً عظم خلقه ما بين السماء إلى الأرض » .

وبعد بيـــان هذه المشاهد التى رأى فيها بعض أصحاب رسول الله ﷺ أمين الوحى رأى العين ، فإن المستشرقين ، ومن لف لفهم من المستغربين ، لايدعون قضية الوحى دون أن يكون لهم فيها غمز ولمز ، فقـد طفحت نفوسهم بالحقد ، وقد بدت البغضاء من أفواههم وماتخفى صدورهم أكبر .

وها نحن أولاء نعرض هذه الشبه بالرد القاطع فنبطلهـا ونمحوها فنذرها هشيما تذروه الرياح .

شبهات باطلة

ركز المستشرقون جهودهم حول قضية الوحى ، لأنها الأساس الأول فى الإسلام ، فأخذوا ينفثون سمومهم ،ويثيرون غبار الشبهات حول إثبات الوحى لكى يسلم ما تهواه نفوسهم المريضة ، وقلوبهم السقيمة ، ولكن الحق أقوى مما يتصورون . وأكبر مما يظنون ، (بل نقذف بالحق على الباطل فيدمغه فإذا هو زاهق ولكم الويل مما تصفون) [الأنبياء ١٨]

(قل جاء الحق وما يبدىء الباطل وما يعيد) [سبأ ٤٩]

وقبل أن ندخل فى تفاصيل هذه الشبه والرد عليها ، فإننا نضع بين يدى القارىء الكريم صورة مفصلة عن بدء الوحى ، كما جاء فى كتب السنة الصحيحة ، حتى يكون للقارىء علم ببدء هذه القضية التى تعتبر الدعامة الأولى فى صرح العقيدة .

روى الإمام مسلم فى صحيحه عن أبى الطاهر أحمد بن عمرو بن عبد الله ابن عمرو بن سرح ، أخبرنا ابن وهب قال :أخبرنى يونس عن ابن شهاب قال: حدثنى عروة بن الزبير أن عائشة زوج النبى ﷺ أخبرته أنها قالت: « كان أول ما بدىء به رسول الله ﷺ من الوحى الرؤيا الصادقة فى النوم . فكان لا يرى رؤيا إلا جاءت مثل فلق الصبح . ثم حبب إليه الخلاء ، فكان يخلو بغار حراء يتحنث فيه ، وهو التعبد ، الليالى أولات العدد ، قبل أن يرجع إلى أهله ،ويتزود لذلك ثم يرجع إلى خديجة فيتزود لمثلها ، حتى فجأه الحق وهو فى غار حراء . فجاءه الملك فقال : اقرأ ، قال : ما أنا بقارىء ، قال : فأخذنى فغطنى حتى بلغ منى الجهد ، ثم أرسلنى ، فقال : اقرأ ، قلت : ما أنا بقارىء ، قال :فأخذنى فغطنى الثانية حتى بلغ منى الجهد، ثم أرسلنى فقال : اقرأ ، فقلت :

ما أنا بقارىء ! فأخذنى فغطنى الثالثة حتى بلغ منى الجهد ، ثم أرسانى فقال : (اقرأ باسم ربك الذى خلق . خلق الإنسان من علق . اقرأ وربك الأكرم. الذى علم بالقلم . علم الإنسان ما لم يعلم) فرجع بها رسول الله ﷺ ترجف بوادره حتى دخل على خديجة فقال : زملونى زملونى . فزملوه حتى ذهب عنه الروع ، ثم قال لخديجة : أى خديجة مالى ؟ وأخبرها الخبر ، قال : لقد خشيت على نفسى . قالت له خديجة : كلا أبشر ، فو الله لا يخزيك الله أبداً ، والله إنك لتصل الرحم ، وتصدق الحديث ، وتحمل الكل ، وتكسب المعدوم ؛ وتقرى الضيف ، وتعين على نوائب الحق . فانطلقت به خديجة حتى أتت به ورقة بن نوفل بن أسد بن عبد العزى (وهو ابن عم خديجة) وكان أمرءاً تنصر فى فى الجاهلية ، وكان يكتب الكتاب العربى ، ويكتب من الانجيل بالعربية ماشاء الله أن يكتب ، وكان شيخاً كبيراً قد عمى ، فقالت له خديجة : أى عم ، اسمع من ابن أخيك ، قال ورقة بن نوفل : يا ابن أخى ماذا ترى ؟ فأخبره رسول الله ﷺ خبر ما رآه ، فقال له ورقة : هذا الناموس الذى أنزل على موسى ﷺ ، ياليتنى فيها جزعاً ، ياليتنى أكون حياً حين يخرجك قومك ، قال رسول الله ﷺ : أو مخرجىّ هم ؟ قال ورقة : نعم ، لم يأت رجل قط بما جئت به إلا عودى ، وإن يدركنى يومك أنصرك نصراً مؤزراً » :

وهذا الحديث اشتمل على الخطوات التى مر بها رسول الله ﷺ عندما أراد الله تبارك وتعالى أن يبعثه إلى العالمين بشيراً ونذيراً (تبارك الذى نزل الفرقان على عبده ليكون للعالمين نذيراً . الذى له ملك السماوات والأرض ولم يتخذ ولداً ولم يكن له شريك فى الملك وخلق كل شىء فقدره تقديراً)[الفرقان ١، ٢]

(قل يا أيها الناس إنى رسول الله إليكم جميعاً الذى له ملك السماوات والأرض لا إله إلا هو يحيى ويميت فآمنوا بالله ورسوله النبى الأمى الذى يؤمن بالله وكلماته واتبعوه لعلكم تهتدون) [الاعراف ١٥٨]

(وما أرسلناك إلا كافة للناس بشيراً ونذيراً) [سبأ ٢٨]

(هو الذى أرسل رسوله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله وكفى بالله شهيداً . محمد رسول الله والذين معه أشداء على الكفار رحماء بينهم ، تراهم ركعاً سجداً يبتغون فضلا من الله ورضواناً ، سيماهم فى وجوههم من أثر السجود ، ذلك مثلهم فى التوراة : ومثلهم فى الإنجيل كزرع أخرج شطأه فآزره فاستغلظ فاستوى على سوقه يعجب الزراع ليغيظ بهم الكفار ، وعد الله الذين آمنوا وعملوا الصالحات منهم مغفرة وأجراً عظيما) [الفتح ٢٨، ٢٩]

نعم : لقد اتصل نور السماء بأرض الصحراء ، وكانت أول خطوة فى هذا الطريق (الرؤيا الصادقة فى المنام) ، فكان صلوات الله وسلامه عليه لا يرى رؤيا إلا جاءت مثل فلق الصبح جلية واضحة ، لا لبس فيها ولا غموض ، ولا امراء ولا خفاء ، وظلت فى هذه الحال ستة أشهر ، ولذلك فإن الرؤيا الصادقة مع رسول الله تعدل جزءاً من ستة وأربعين جزءاً .

بيان ذلك أن الرسول ﷺ استمر ثلاثاً وعشرين سنة يوحى إليه ، فتكون الأشهر الستة تساوى بالنسبة لهذه المدة جزءاً من ستة وأربعين ، ثم انتقل الوحى إلى اللقاء المباشر بين الملك الموكل به وهو الأمين جبريل الذى بين الله وصفه فى قوله (إنه لقول رسول كريم . ذى قوة عند ذى العرش مكين . مطاع ثم أمين) [التكوير ١٩ — ٢١]

وفى قوله (نزل به الروح الأمين على قلبك لتكون من المنذرين . بلسان عربى مبين) [الشعراء ١٩٣ — ١٩٥]

وفى قوله : (قل من كان عدواً لجبريل فإنه نزله على قلبك بإذن الله مصدقاً لما بين يديه وهدى وبشرى للمؤمنين) . [البقرة ٩٧]

وكان اللقاء الأول بين سفير الأنبياء وكبير أمناء وحى السماء ، وبين المبعوث رحمة للعالمين فى غار حراء ، الذى كان الرسول يخلو فيه متأملا فى رحاب الكون ، مقلبا طرفه فى أرجاء العالم بكواكبه ونجومه ، وأرضه وجباله ، ونباته وجماده ، وشمسه وقمره ، وليله ونهاره ، هاتفاً بخالقه ، مردداً آيات الحمد والثناء لرافع السماء بلا عمد ، سبحه الطير فى وكره ، ومجده الوحش فى قفره ، ومن آياته أن تقوم السماء والأرض بأمره ثم إذا دعاكم دعوة من الأرض إذا أنتم تخرجون .

وكان الأمر بالقراءة ، وكان الرسول يقول ما أنا بقارىء ، وقال له أمين الوحى : اقرأ باسم ربك الذى خلق ، وأنطلق الرسول بهذه الآيات يرجف فؤاده من هول ما رأى .

إن هناك طاقة ملائكية شديدة الجذب ، كان جبريل يضمه إليه حتى يبلغ منه الجهد ثم يرسله ويأمره بالقراءة ، وهكذا ، دخل الأمين محمد ﷺ على زوجه الوفية خديجة بنت خويلد يقول لها : زملونى زملونى فتبعث إلى قلبه ما يشرح الصدر ، وتريش بحنانها جناحه ، وتقسم له بالله أن الله لا يخزيه أبداً ، وتنطلق به الى ابن عمها ورقة الرجل الذى قرأ الكتاب الذى أنزل على عيسى ، ورأى فيه البشارات الصادقات ببعثة محمد بن عبد الله ﷺ فيخبر رسول الله أن هذا الملك الذى نزل عليه هو الذى نزل على موسى قبل ذلك وينبئه بأمور ستقع ، فيقول له : ليتنى أكون حياً إذ يخرجك قومك ، يقصد هجرته من مكة الى المدينة ، يسأل الرسول متعجباً « أو مخرجى هم ؟ » فيقول له ورقة : نعم ، ثم يبين له السبب وهو أنه ما من أحد يأتى قومه بمثل ما أتى به محمد ﷺ إلا عاداه الناس ، إنه يحمل لواء الحق فلابد أن يصطدم بأصحاب الباطل ويتمنى ورقة بن نوفل أن يكون حياً وقت أن

يخرجه قومه حتى ينصر النبي ﷺ نصراً عزيزاً مؤزراً .

وهكذا يثبت لنا هذا الحديث الشريف الخطوات الكاملة التي خطاها رسول الله ﷺ على طريق الوحي .

ونستنتج من هذا قاعدة في العقيدة لا بد لكل مسلم أن يعلمها . هذه القاعدة تثبت أنه لا نبوة بلا وحي ، ولا رسالة بدون نبوة بهذا نطق القرآن العظيم في قوله جل شأنه (إنا أوحينا إليك كما أوحينا إلى نوح والنبيين من بعده وأوحينا إلى إبراهيم وإسماعيل وإسحاق ويعقوب والأسباط وعيسى وأيوب ويونس وهارون وسليمان وآتينا داود زبوراً . ورسلا قد قصصناهم عليك من قبل ورسلا لم نقصصهم عليك وكلم الله موسى تكليما . رسلا مبشرين ومنذرين لئلا يكون للناس على الله حجة بعد الرسل وكان الله عزيزاً حكيما . لكن الله يشهد بما أنزل إليك أنزله بعلمه والملائكة يشهدون وكفى بالله شهيدا) . [النساء ٦٣ ـ ٦٦]

ففي هذه الآيات أثبت الله أنه قد أوحى إلى نبيه محمد كما أوحى إلى النبيين قبله ، وبناء عليه فليس هناك نبوة بدون وحي ، ثم أثبت القرآن أن هناك رسلا من هؤلاء الأنبياء جاءوا مبشرين ومنذرين ليقطع المعاذير والحجج ، فإذا كان ذلك كذلك ، فإن النبوة أوسع من دائرة الرسالة ، فكل رسول لا بد أن يكون نبياً .

وإذا كان الحبيب محمد قد ختم النبوة ، وهي الأعم ، فإنه يلزم على ذلك لزوما حتميا أن يختم الرسالة وهي الأخص ، ولذا فإنه لا أساس من الصحة لقول من قال إن هناك رسالة بعد رسول الله ﷺ ، لأن الوحي لم ينزل على أحد بعده ، وحيث لا وحي فلا نبوة ، وحيث لا نبوة فلا رسالة .

وإذا كان ﷺ رسول الله وخاتم النبيين ، فهو رسول الله وخاتم المرسلين أيضاً ، لأن دائرة المرسلين مندرجة تحت دائرة النبيين ، فلا نبوة بلا وحى ، ولا رسالة بلا نبوة ، وصدق الله إذ يقول (ما كان محمد أبا أحد من رجالكم ولكن رسول الله وخاتم النبيين وكان الله بكل شيء عليما) .
[الأحزاب ٤٠]

مــاذا قـــالـوا عن الوحى ؟

والآن نبدأ فى عرض شبه المبطلين الذين هاجت صدورهم بعقارب البغضاء فنقول لهم : إن الرسول ﷺ نبى ثبتت نبوته ثبوتاً قطعياً ، وتضافرت على ذلك الأدلة التى لامراء فيها ، وعلى رأسها الكتاب الخالد الذى تعهد الله بحفظه فى قوله : (إنا نحن نزلنا الذكر وإنا له لحافظون) [الحجر ٩]

فهو الأمى الذى لم يقرأ ولم يكتب ولم يذهب إلى أستاذ ، ولم يجلس أمام فيلسوف ، فنزول هذا الكتاب عليه بما اشتمله من قصص السابقين فى القرون الأولى ، ومن الوعد والوعيد والإنباء بالغيب ، والنظم الفريدة التى اشتملت الحياة كلها من شتى نواحيها ، والدعوة الخالصة لإصلاح الفرد والمجتمع ، وهو الأمى ، دليل قاطع على أنه النبى الصادق الأمين . قال تعالى (وما كنت تتلو من قبله من كتاب ولا تخطه بيمينك إذاً لارتاب المبطلون . بل هو آيات بينات فى صدور الذين أوتوا العلم وما يجحد بآياتنا إلا الظالمون)
[العنكبوت ٤٨ ، ٤٩]

لما لم يجد أعداء الرسول فى حياته ، ولا فى أخلاقه ، ما يمكنهم من الطعن فيه ، جندوا أقلامهم ، وجمعوا صحفهم ، ليفتروا على الله ورسوله الكذب ، فيقولون : كان قساً رومانياً غضب لأنه لم ينتخب لكرسى البابوية ، وأنه وهو الفيلسوف الحكيم ، عز عليه ذلك ، ولم يشأ أن يصبح شيخاً لقبيلته ، أو رئيساً لأمته ، إنما أراد أن يكون إلهاً أو فى مصاف الآلهة !!

ومما يثبت كذب هذا الافتراء أن محمداً جاء برسالته فى وقت تناحرت فيه الفرق الدينية ، وتشعبت المعتقدات ، وتناول البعض الرسالات الدينية

السابقة بالتحريف والتغيير، وبلغ الأمر إلى الارتفاع بالأنبياء إلى مقام الألوهية ، فلو كان محمد يرجو مجداً دنيوياً لوجد البيئة الصالحة لذلك ، ولكنه كان يتلو عليهم قرآن الله الذى يقول (قل إنما أنا بشر مثلكم يوحى إلىّ أنما إلهكم إله واحد ، فمن كان يرجو لقاء ربه فليعمل عملا صالحاً ولا يشرك بعبادة ربه أحداً) . [الكهف ١١٠]

(قل إنما أنا بشر مثلكم يوحى إلىّ أنما إلهكم إله واحد ، فاستقيموا إليه واستغفروه وويل للمشركين) . [فصلت ٦]

ويحسم الرسول الأمين الأمر حسما فيقول فى حديثه الشريف « لا تطرونى كما أطرت النصارى المسيح بن مريم ، فإنما أنا عبد الله ورسوله ، فقولوا عبد الله ورسوله » .

فهل بعد ذلك يستقيم قول قائل إنه كان يريد مجداً أو كان يريد أن ينصب نفسه إلهاً ؟

تهمة باطلة

ويتمادى أعداء الله فى غيهم وبهتانهم فيزعمون أن رسول الله صلوات الله عليه وسلامه كان مريضاً بالصرع ، وأن ظواهر الوحى التى كانت تعتريه ما هى إلا نوبات الصرع ، ثم يزيدون افتراءهم بهتاناً وإثماً مبيناً ، فيقولون إنه كان يسمع كلاماً أثناء نوبات الصرع ، سمى بعد ذلك قرآناً .

هذه فرية ما فيها مرية

إن ماقالوه كلام سخيف لا أساس له من الصحة ، وهراء باطل لا نصيب له من الحقيقة العلمية ، ولذلك فإننا عند ما نوجه شمس الحقيقة على هذه الخرافات فإنها ستبدد ظلماءها الداكنة ، لتبدو الحقيقة جلية واضحة لا يعتريها لبس ، ولا يعتورها غموض ولا شك .

يرد الدكتور (يحيي طاهر) أخصائي وأستاذ الأمراض العصبية بكلية طب ومستشفى قصر العيني بجامعة القاهرة على هذه الفرية فيقول :

« لقد أراد بعض الناس أن يطعنوا الدين الإسلامي في شخص الرسول ﷺ ، فقالوا إن النبي محمداً كان مريضاً بالصرع ، وإن الوحي الذي كان ينزل على الرسول بالقرآن ما هو إلا نوبات صرعية كان يسمع أثناءها كلاماً زدده ليصبح قرآناً .

والذي يدرس الصرع من أي ناحية من نواحيه الطبيــة أو العلمية أو الفسيولوجية ، يتبين له جسامة هـذا الافتراء ، إذ أن النوبات الصرعية ليست نوبات نفسية كما يتبـادر إلى الذهن ، ولـكنها ناتجـة عن تغيرات فسيولوجية عضوية في المخ بدليل أنه أمـكن تسجيل تغيرات كهربائية في المخ أثناء تلك النوبات الصرعية مهما كان مظهرها الخارجي .

ومن المعروف أن هناك مظاهر خارجية عديدة ومختلفة للنوبات الصرعية ، وذلك تبعاً لمراكز المخ التي تبدأ فيها التغيرات الـكهربائية ، وطريقة وسرعة انتشارها . فإذا بدأت في مراكز الحركة كانت النوبة على شكل تقلصات أو تشنجات عضلية ، وإذا بدأت في مراكز الإحساس كانت النوبة على شكل إحساسات مختلفة ، وإذا بدأت في مراكز الإبصار كانت النوبة على شكل ذكريات أو أحلام ، وهكذا .

ويكفي أن نشرح نوعاً واحـداً من النـوبات الصرعية الذي يشتبه أن يكون هو النوع الذي قيل عنه إن النبي ﷺ كان مصاباً به، ألا وهو النوبات الصرعية النفسية .

ففي هذه النوبات الصرعية النفسية يكون التغير العقلي هو المظهر الأساسي للنوبة ، ولا يفقد المريض شعوره تماماً كما في الأنواع الأخرى من النوبات ،

ويمكنه إلى حد ما تذكر التجارب النفسية التى حدثت له أثناء النوبة بعد انتهائها ، وتكون هذه التجارب النفسية التى تمر بالمريض أثناء النوبة إما على شكل انفعالات مثل الخوف ، أو على شكل تفكير فى اتجاه معين ، كأن يردد المريض فى ذهنه «يجب أن أقول لفلان كذا وكذا» أوعلى شكل خيالات أو هلاوس. وفى هذه الحالة تمر بذهن المريض ذكريات أوأحلام مرئية أوسمعية أو الاثنان معاً . ومن أمثلة الهلاوس المرئية ما قالته مريضة من أنها ترى أثناء النوبة فتاة صغيرة تسير بجانبها من الجهة اليمنى ثم من الجهة اليسرى ، وإن هذه الصورة تتكرر بنفس الشكل فى جميع النوبات ، وبسؤال المريضة تبين أنها لا يمكنها تبين ملامح الفتاة أو معرفة ملابسها .

وقالت مريضة أخرى : إنها ترى أثناء النوبة شبحاً أسود يهددها ، ولا يمكنها أن تتبين ملامحه وصورته ، وتتكرر بنفس الشكل فى جميع النوبات .

ومن أمثلة الهلاوس السمعية قول مريضة إنها تسمع أصواتاً قادمة من الجهة اليمنى ، ولكنها ليست أصوات أطفالها ، كما أنها تسمع فى نوبات أخرى قطعة موسيقية تظن أنها قادمة من المذياع الموضوع فى حجرة الجلوس ، وبالرغم من أنها سمعت هذه القطعة الموسيقية مراراً فى المذياع ، فانها لن يمكنها أن تتبين الألحان فى تلك القطعة الموسيقية .

وقالت مريضة أخرى : إنها تسمع أثناء النوبة أغنية كانت تغنيها لها أمها فى صغرها . وهذه المقاطع من الأغنية تتكرر بنفس النظام فى جميع النوبات .

من ذلك نرى أن الأحلام والهلاوس التى تمر بذهن المريض فى أثناء النوبة الصرعية ما هى إلا تنبيه لذكريات قديمة مرت بالإنسان ، أو فكر فيها

ثم حفظت فى ثنايا المخ ، وقد ثبت ذلك علمياً بأن نبهت مراكز المخ المصابة بتيار كهربائى من الخارج فشعر المريض بنفس الهلاوس التى تنتابه أثناء النوبة الصرعية . كما نرى من الأمثلة التى ذكرت أن الهلاوس تتكرر بنفس الشكل بتكرار النوبات، وقد يكون هناك أكثر من نوع واحد من الهلاوس فى المريض الواحد ، ولكنها تتكرر كلها أو بعضها بالشكل نفسه. كذلك نرى أن المريض يتذكر التجارب النفسية التى مرت به أثناء النوبة عامة ، ولا يمكنه أن يتذكر التفاصيل، أو أن يصف ما مر به فى أثناء النوبة وصفاً دقيقاً » .

ثم يستطرد الدكتور يحيى طاهر قائلا : « إنه بتطبيق ما وصلنا إليه من هذا العرض السريع للصرع على الافتراء الذى يفتريه خصوم الإسلام على الوحى الذى أنزل على سيدنا محمد ﷺ ، نجد أن الهلاوس والأحلام التى تمر بذهن المريض بالصرع ما هى إلا أجزاء من ذكريات قديمة نبهتها النوبة، ولا يمكن المريض بالصرع أن يؤلف أثناء النوبة شيئاً ، فكيف بالقوانين والآداب والقصص والعلوم وغير ذلك مما اشتمل عليه القرآن الكريم ؟

كذلك لا يمكن أن تتحسن لغة المريض بالصرع أثناء النوبة أو بعدها ، لأن هذا التحسن يحتاج إلى تعليم، أما الصرع فهو ارتباك مفاجىء فى كهرباء المخ ووظيفته، وقد نزل القرآن بلغة عربية فصحى، لم يتعلمها النبى ﷺ قبل الرسالة .

كما أن الأحلام والهلاوس التى يشعر بها المريض فى أثناء النوبات ، الصرعية تتكرر بعضها أو كلها بنفس الشكل بتكرار النوبات ، كما أن المريض لا يمكنه أن يصفها وصفاً دقيقاً ، أما القرآن الكريم فأنزلت آياته واضحة محدودة متممة بعضها بعضاً ، شاملة كل مايهم الناس فى شئون دينهم ودنياهم» فهل يمكن أن يقال بعد هذا العرض العلمى البحت إن القرآن ما هو

إلا هلاوس رجل مصروع ؟ ! ! سبحانك هذا بهتان عظيم ، وقد كذبوا ورب الكعبة (كبرت كلمة تخرج من أفواههم إن يقولون إلا كذباً)
[الكهف ٥]

أما بعد، فقد تبين لنا بالعلم الصحيح، والحقائق الثابتة أن هذه الشبهة التى وجهوها إلى الوحى قد اجتثت من أصلها ، كشجرة خبيثة اجتثت من فوق الأرض مالها من قرار .

وننتقل بعد ذلك إلى رد على آخر على لسان الدكتور عبد العزيز الشريف أخصائى وأستاذ الأمراض الباطنية بكلية طب القصر العينى وعضو كلية الأطباء بأدنبرة ، يقول عن هذه الفرية :

إن المرض علة تصيب أى عضو من أعضاء الجسم ، فتسبب خللا ، فيصبح الإنسان لذلك معتلا ، والشخص المريض هو الذى تغيرت حالته بسبب المرض ، فأصبح غير عادى ، إذ يقل فى قوته وصحته ، وبالتالى فى إنتاجه وتفكيره .

ولم يعرف الطب ، ولم يحدثنا التاريخ العلمى أن شخصاً أصيب بمرض فوهبه المرض علماً أو عقلا أو مقدرة ، إذ أن العقل السليم فى الجسم السليم . فكيف يقولون عن الرسول الكريم محمد ﷺ إنه أصيب بالصرع ، فتتحسن لغته تحسناً بحيث لا يمكن أن نقارن بين حديثه العادى وبين القرآن الكريم الذى يقولون إنه حديثه وهو فى نوبة الصرع ؟

وكيف يشرع مريض هذه التشريعات التى تعتبر الأسس القويمة لكل القوانين التى تهدف إلى العدالة والرحمة والتقدم ؟

وهل يستقيم ذلك ؟ والصرع حالة تتميز بالاختلال المفاجىء فى وظيفة المخ ؟

وكيف يكون ما عند الرسول ﷺ نوبات صرع ، وهذه النوبات تسبب المريض آلاماً شديدة فى عضلاته تكون مصحوبة بالصداع والغثيان ، وتبقى

مدة بعد النوبة التى هى تشنج وتصلب فى العضلات ، فاذا غابت عنه حزن ووجل ؟

فقد فتر الوحى عن الرسول ﷺ فترة فتولاه الخوف والوجل ، وحزن حتى نزل قول الله سبحانه وتعالى (والضحى . والليل إذا سجى . ما ودعك ربك وما قلى) [الضحى ١ - ٣]

فلو كان ما ينزل بالرسول ﷺ من الوحى حالة صرع مصحوب بالصداع والغثيان والألم الشديد ، ماتمنى الرسول أن يعود إليه هذا الصرع .

والله ماهو بصرع ، إنه الوحى . لقد هبط الأمين جبريل بعد أن فتر الوحى أياماً ، واشتاقت نفس رسول الله ﷺ إليه ، حتى قال للأمين جبريل : لقد احتبست عنى حتى اشتقت إليك ، فقال له جبريل : يارسول الله ، لقد كنت أشد شوقاً منك إليك ، ولكنى عبد مأمور ، إذا أمرت تنزلت ، وإن منعت احتبست . ثم تلا عليه قول الله تبارك وتعالى (وما نتنزل إلا بأمر ربك له ما بين أيدينا وماخلفنا وما بين ذلك وما كان ربك نسياً . رب السماوات والأرض ومابينهما ، فاعبده واصطبر لعبادته هل تعلم له سمياً) [مريم ٦٤ ، ٦٥]

هل يشتاق الرسول إلى أن تنزل به حالة تسبب له الصداع والآلام ؟

هذا محال لا تقبله العقول ولا تستسيغه الأفهام .

والله ما هو بصرع ، إنما هو الوحى (وكذلك أوحينا إليك روحاً من أمرنا ، ما كنت تدرى ما الكتاب ولا الإيمان ، ولكن جعلناه نوراً نهدى به من نشاء من عبادنا ، وإنك لتهدى إلى صراط مستقيم . صراط الله الذى له مافى السماوات وما فى الأرض ، ألا إلى الله تصير الأمور) . [الشورى ٥٢ ، ٥٣]

وننتقل بالحديث إلى طبيب آخر هو الدكتور عز الدين عبد القادر أستاذ العقاقير بكلية الصيدلة بجامعة القاهرة . يقول :

"تخبط الناس منذ بدء الخليقة فى تعريف مرض الصرع ، فمن قائل إنه يرجع إلى أرواح شريرة تسكن مخ المريض ، إلى قائل إنه من آثار الآلهة ، وإن كل حركة يحدثها المريض إنما هى من فعل إله من الآلهة، ولهذا سموه بالمرض المقدس ، حتى جاء أبقراط العظيم فى القرن الخامس قبل الميلاد وأظهر كذب هذه الأقوال ، ونادى بأن هذه الأعراض إنما هى أغراض مرض لا يختلف عن باقى الأمراض الأخرى ، من أن له سبباً ينشأ عنه ، ووصف نوبات الصرع بدقة متناهية لا تختلف فى شىء عما تصفه به أحدث المراجع الطبية . فالمريض يفقد النطق، ويخرج الزبد من فمه ، وتصطك أسنانه ، وتنقبض يداه وتزيغ عيناه ، ويفقد الوعى تماماً ، كما يفقد القدرة على ضبط البول أو البراز . ومن هذا نرى أن مريض الصرع يفقد حواسه ويفقد السيطرة على نفسه ، فيصبح ولا عقل له ، ولا وعى عنده ، ولا سيطرة على حواسه جميعاً .

فلينظر إلى ذلك من يقول إن القرآن الكريم إنما هو هلوسة مصروع ، وحديث الرسول ﷺ وهو فى نوبات الصرع ، فكيف يمكن لمريض هذه حالته أن يأتى بجوامع الكلم، والآيات البينات ، وبالبلاغة التى أعيت جهابذة العرب وأرباب البيان ؟

سبحانك ربى يامن قلت (قل لئن اجتمعت الإنس والجن على أن يأتوا بمثل هذا القرآن لا يأتون بمثله ولو كان بعضهم لبعض ظهيراً . ولقد صرفنا للناس فى هذا القرآن من كل مثل فأبى أكثر الناس إلا كفوراً) .
[الاسراء ٨٨ ، ٨٩]

ويامن قلت لحبيبك محمد (وإنه لتنزيل رب العالمين . نزل به الروح الأمين. على قلبك لتكون من المنذرين . بلسان عربي مبين) [الشعراء ١٩٢ ـ ١٩٥]

ويامن قلت له (وإنك لتلقى القرآن من لدن حكيم عليم) [النمل ٦]

ويا من تحديت العالم أجمع فقلت (فليأتوا بحـــديث مثله إن كانوا صادقين) [الطور ٣٤]

وقلت للمعاندين (وإن كنتم في ريب مما نزلنا على عبدنا فأتوا بسورة من مثله وادعوا شهداءكم من دون الله إن كنتم صادقين) [البقرة ٢٣]

كيف يتفق هذا التحدى مع الفرية القائلة إنه أهلوسة مصروع ؟ وهل تقوى الهلاوس والخرافات أن تنزل ميدان التحدى الصارخ ؟

والله إنها الأباطيل والأكاذيب ، لاحياة لها ولاقرار ، أمام صولة الحق (قل جاء الحق ومايبدىء الباطل ومايعيد) [سبأ ٤٩]

وينتقل بنا الحديث بعد ذلك فى هذا الصدد إلى أستاذ أوربى هو (ر .ف بودلى) فى كتابه حياة الرسول محمد . يقول فى هذا الشأن :

« يذكر الأطباء أن المصاب بالصرع لا يفيق منه ، وقد ذخر عقله بأفكار لامعة ، وإنه لايصاب بالصرع من كان فى مثل الصحة التى يتمتع بها محمد ، حتى قبل مماته بأسبوع واحد ، وما كان الصرع ليجعل من أحد نبياً أو مشرعاً ، وما رفع الصرع أحداً إلى مراكز التقدير والسلطان يوماً ، وكان من تنتابه مثل هذه الحالات فى الأزمنة الغابرة يعتبر مجنوناً أوبه مس من الجن ، ولو كان هناك من يوصف بالعقل ورجاحته فهو محمد » .

ونخلص مما تقدم إلى أن هؤلاء الذين يخبطون فى الأمور خبط عشواء ،

ويحاولون أن يكيلوا التهم الحقد فى قلوبهم ، ومرض فى نفوسهم ، إنما يرتد كيدهم فى نحورهم ، ويموتون بغيظهم .

ونعود إلى ماقاله الدكتور يحيى طاهر من حقائق عن الصرع على ما كان يعترى سيدنا رسول الله ﷺ نجده يختلف أصلا وظاهراً عنه ، ويقرر بشكل قاطع أن ما كان يعترى الرسول إنما هو وحى الله جل شأنه ، فإن الحقائق العلمية الطبية تثبت أن الهلاوس التى يراها أو يسمعها المريض أثناء نوبته ، لا بد أن يكون قد رآها أو سمعها فى طفولته ، أو شبابه ، أو قبل مرضه ، فهل كان الرسول ﷺ قد رأى الأقوام قبل عصر الإسلام ، وعاش بينهم واستمع إلى أحاديث الرسل والأنبياء السابقين، فردد مثل آيات القرآن الكريم ، التى بلغت قمة السمو ، وعلو الطبقة ، فى الإعجاز المطلق ، مثل قوله تعالى حكاية عن نبى الله نوح (ويصنع الفلك وكلما مر عليه ملأ من قومه سخروا منه ، قال إن تسخروا منا فإنا نسخر منكم كما تسخرون . فسوف تعلمون من يأتيه عذاب يخزيه ويحل عليه عذاب مقيم) [هود ٣٨ ، ٣٩]

إلى أن تنتهى هذه المشاهد بشأن نوح فى قوله تعالى (قيل يا نوح اهبط بسلام منا وبركات عليك وعلى أمم ممن معك وأمم سنمتعهم ثم يمسهم منا عذاب أليم) [هود ٤٨]

هل كان رسول الله محمد ﷺ مع نبى الله نوح وعاصره وعاشره وخالطه ثم ردد هذه الوقائع والذكريات فى نوبات الصرع ! كلا . . وألف لا ، إنه الوحى كما قال تعالى فى نهاية قصة نوح (تلك من أنباء الغيب نوحيها إليك ما كنت تعلمها أنت ولا قومك من قبل هذا فاصبر إن العاقبة للمتقين) . [هود ٤٩]

وهل كان صلوات الله وسلامه عليه مع يوسف وإخوته ، وما دار فى

هذه القصة من أحداث ووقائع من أول قوله تعالى (إذ قال يوسف لأبيه ياأبت إنى رأيت أحد عشر كوكباً والشمس والقمر رأيتهم لى ساجدين) [٤]

إلى أن تنتهى القصة بقوله جل شأنه على لسان يوسف (رب قد آتيتنى من الملك وعلمتنى من تأويل الأحاديث فاطر السماوات والأرض أنت وليي فى الدنيا والآخرة ، توفنى مسلماً وألحقنى بالصالحين) [١٠١]

هل كان رسول الله ﷺ مع يوسف وإخوته حتى ردد هذه الذكريات فى نوبة من نوبات الصرع ؟ كلا . . ثم كلا . . إنه الوحى الذى قال فيه مولانا تعقيباً على قصة يوسف عليه السلام ، موجهاً الخطاب للرسول الكريم (ذلك من أنباء الغيب نوحيه إليك وما كنت لديهم إذ أجمعوا أمرهم وهم يمكرون) [١٠٢]

وهل كان ﷺ مع آل عمران وما جرى فى هذه القصة من أحداث ووقائع ، بدأت بقوله تعالى (إذ قالت امرأة عمران رب إنى نذرت لك ما فى بطنى محرراً فتقبل منى إنك أنت السميع العليم) [آل عمران ٣٥] إلى أن انتهت القصة بقوله تعالى (يامريم اقنتى لربك واسجدى واركعى مع الراكعين) [آل عمران ٤٣]

هل كان الرسول الكريم معاصراً لتلك الأحداث ، حتى ظهرت هذه الذكريات عليه فى حالة من نوبات الصرع ؟ كلا . . ثم كلا . . إنه الوحى كما قال تعالى تعقيباً على قصة آل عمران (ذلك من أنباء الغيب نوحيه إليك ، وما كنت لديهم إذ يلقون أقلامهم أيهم يكفل مريم ، وما كنت لديهم إذ يختصمون) [٤٤]

من الذى علم هذا الأمى أخبار السابقين وقصص الأنبياء المكرمين ، وهو

الذى لم يختلف إلى أستاذ ، ولم يذهب إلى جامعة ؟ وإذا كان الصرع ترديداً لذكريات مضت تنتاب المريض فى نوبة من نوباته ، فهل يتفق هذا مع الإنباء بما سيحدث فى المستقبل فى مثل قوله جل شأنه (ألم . غلبت الروم . فى أدنى الأرض وهم من بعد غلبهم سيغلبون. فى بضع سنين لله الأمر من قبل ومن بعد ويومئذ يفرح المؤمنون. بنصر الله ينصر من يشاء وهو العزيز الرحيم) [١ - ٥]

وهل يتفق هذا مع الإخبار بما سيقع من مشاهد القيامة من بعث وجزاء وحساب ونعيم وعذاب ؟ أين نوبات الصرع من هـذا الوحى الذى نزل به الروح الأمين جبريل؟ صدقت يارب العزة إذ تقول وقولك الحق: (والنجم إذا هوى. ماضل صاحبكم وما غوى . وماينطق عن الهوى. إن هو إلا وحى يوحى . علمه شديد القوى . ذو مرة فاستوى . وهو بالأفق الأعلى . ثم دنا فتدلى . فكان قاب قوسين أو أدنى . فأوحى إلى عبده ما أوحى . ما كذب الفؤاد ما رأى . أفتمارونه على ما يرى . ولقد رآه نزلة أخرى . عند سدرة المنتهى . عندها جنة المأوى . إذ يغشى السدرة ما يغشى . ما زاغ البصر وما طغى . لقد رأى من آيات ربه الكبرى) . [النجم ١ - ١٨] .

هذا المشهد القرآنى الرائع البديع يثبت حتمية الوحى ثبوتاً لامراء فيه ولا لبث ، ولا جدال ولا غموض ، وينفى أى ضلال أو غواية ، أو زيغ أو بهتان ، عن المعصوم صاحب الرسالة الطاهرة ، ويثبت أنه قد رأى الأمين جبريل مرتين ، وهو على صورته الملائكية . يقول فى المرة الأولى (علمه شديد القوى. ذو مرة فاستوى . وهو بالأفق الأعلى . ثم دنا فتدلى . فكان قاب قوسين أو أدنى فأوحى إلى عبده ما أوحى) .

فهذه أوصاف لأمين الوحى ، وسفير الأنبياء جبريل ، فهو شديد القوى ،

شديد البأس ، ينتقم الله به من أعدائه ، فيزلزل الأرض تحت أقدامهم ، فتأخذهم الرجفة ، وإذا هم أعجاز نخل خاوية . وجبريل ذو مرة ، أى ذو هيئة جميلة ، وذو قوة متينة ، استوى فى الأفق الأعلى بهيئته الملائكية الجليلة ، ولما استقر فى الآفاق ، دنا وقرب وتدلى هابطا ، حتى ازداد قرباً من رسول الله ، وصارت المسافة بينه وبين الحبيب المصطفى ﷺ أقل من مقدار قوسين ، وأوحى إلى رسول الله ما أوحاه الله ، وأمره بتبليغه إياه . هذه كانت المرة الأولى من المرتين اللتين رأى الرسول ﷺ فيهما جبريل بهيئته الملائكية .

وكانت المرة الثانية ليلة المعراج عند سدرة المنتهى ، وفيها يقول تعالى (ولقد رآه نزلة أخرى) أى مرة أخرى (عند سدرة المنتهى . عندها جنة المأوى) وذلك فى العالم العلوى ، والملأ الملائكى (إذ يغشى السدرة ما يغشى) من النور والبهاء والجلال . كان الرسول ثابت البصر ، ملتزماً الحدود التى رسمها الله له (ما زاغ البصر وماطغى . لقد رأى من آيات ربه الكبرى) إنها آيات الجلال والكمال ، والعظمة والقدرة الباهرة

وهكذا أثبتت هذه الآيات الكريمة المشهدين اللذين ظهر فيهما كبير أمناء وحى السماء ، وسفير الأنبياء ، فى صورته الملائكية الجليلة .

لقاء آخر مع جبريل

ونرى من تمام الفائدة أن نسجل هذا المشهد الذى تم فيه لقاء كريم بين جبريل الأمين ، والسيد الجليل محمد ﷺ ، وكان ذلك على مرأى ومسمع من عدد من صحابة رسول الله ﷺ ، وقد دخل جبريل فى صورة بشر ، جميل الهيئة ، بديع الرؤية ، والصحابة حول رسول الله يحيطون به إحاطة الكواكب الدرية بصاحب الرسالة ومبعوث العناية الإلهية

وها نحن أولاء نستمع إلى الإمام مسلم رضى الله عنه ، وهو يروى لنا هذا

الحديث الجليل القدر ، العظيم الأثر ، الذى وقف الأمين جبريل فيه موقف السائل، ووقف سيدنا محمد ﷺ موقف الأستاذ المجيب :

عن عبد الله بن عمر قال : حدثنى أبى عمر بن الخطاب ، قال « بينما نحن عند رسول الله ﷺ ذات يوم ، إذ طلع علينا رجل شديد بياض الثياب شديد سواد الشعر ، لا يُرى عليه أثر السفر ، ولا يعرفه منا أحد ، حتى جلس إلى النبى ﷺ ، فأسند ركبتيه إلى ركبتيه ، ووضع كفيه على فخذيه ، قال يا محمد ، أخبرنى عن الإسلام ، فقال رسول الله ﷺ : الإسلام أن تشهد أن لا إله إلا الله ، وأن محمداً رسول الله ، وتقيم الصلاة ، وتؤتى الزكاة ، وتصوم رمضان ، وتحج البيت إن استطعت إليه سبيلا . قال : صدقت . قال : فعجبنا له يسأله ويصدقه. قال: فأخبرنى عن الإيمان . قال : أن تؤمن بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر ، وتؤمن بالقدر خيره وشره . قال صدقت . قال: فأخبرنى عن الإحسان، قال: أن تعبد الله كأنك تراه ، فإن لم تكن تراه فإنه يراك قال: فأخبرنى عن الساعة . قال: ما المسئول عنها بأعلم من السائل. قال: فأخبرنى عن أماراتها. قال : أن تلد الأمة ربتها ، وأن ترى الحفاة العراة العالة رعاء الشاء يتطاولون فى البنيان. قال : ثم انطلق فلبثت ملياً . ثم قال لى: ياعمر أتدرى من السائل ؟ قلت : الله ورسوله أعلم . قال : فإنه جبريل أتاكم يعلمكم دينكم »

هذا نص صريح وحديث صحيح ، يدل دلالة قاطعة على أن الوحى حقيقة ؛ شهد بها الجمع الغفير الذين رأوا الأمين جبريل رؤية لا يعتريها شك ، ولا يطرأ عليها لبس ، رأوه فى أى صورة ؟ فى صورة بشرية جميلة ، عبر عنها عملاق الإسلام عمر بن الخطاب بقوله « طلع علينا » وفى التعبير « بطلع » إشارة إلى أن ذلك الذى رأوه يشبه فى جماله الكواكب النيرة ، كالشمس والقمر ، ثم بعد ذلك وصفه بقوله «شديد بياض الثياب» شديد سواد الشعر ،

لا يُرى عليه أثر السفر » فهذه المواصفات تدل على ثقة الرائى للمرئى رؤية واضحة ، وضوح الشمس فى كبد السماء . إنها الحقائق الثابتة التى لا يجادل فيها إلا مكابر ، لم يصل نور الإيمان إلى قلبه ، ولم يشرح للاسلام صدره .

سيدى أبا القاسم يا رسول الله :

يوحى إليك النور فى ظلمائه ... متتابعاً تجلى به الظلماء

والآى تترى والخوارق جمة ... جبريل روّاح بها غداء

دين يشيّد آية فى آية ... لبناته السورات والأضواء

الحق فيه هو الأساس وكيف لا ... والله جل جلاله البناء

فاللهم إنا أصبحنا نشهدك ونشهد حملة عرشك وملائكتك وجميع خلقك أنك أنت الله لا إله إلا أنت وحـــــــدك لا شريك لك ، وأن محمداً عبدك ورسولك .

رؤيا الأنبياء وحى

من الأشياء التى يجب على المؤمن أن يعتقدها أن رؤيا الأنبياء فى منامهم وحى من الله إليهم . ولقد ذكر القرآن العظيم نماذج من هذه الرؤيا . فها هو خليل الرحمن إبراهيم يبشّر بغلام حليم ، ثم يرى فى المنام أنه يذبحه بعد ما بلغ معه السعى ، فيصحبه لينفذ أمر الله فيه ، فلولم تكن الرؤيا وحياً ، ماعزم إبراهيم على تنفيذ الأمر .

وهذا هو المشهد القرآنى ينطق بالجلال ويفيض بالرحمة :

(وقال إنى ذاهب إلى ربى سيهدين . رب هب لى من الصالحين . فبشرناه بغلام حليم . فلما بلغ معه السعى قال يا بنى إنى أرى فى المنام أنى أذبحك

فانظر ماذا ترى ؟ قال: يا أبت افعل ما تؤمر ستجدنى إن شاء الله من الصابرين. فلما أسلما وتله للجبين . وناديناه أن يا إبراهيم قد صدقت الرؤيا إنا كذلك نجزى المحسنين . إن هذا لهو البلاء المبين ، وفديناه بذبح عظيم)

[الصافات ٩٩ ـ ١٠٧]

نموذج آخر

ويحدثنا القرآن عن رؤيا رآها سيدنا محمد ﷺ ونفذها ، رآى فى المنام أنه يزور بيت الله الحرام معتمراً ؟ وأعلن ذلك فى صفوف أصحابه ، فخرجوا معه ولبوا نداءه ؟ وطافوا بالبيت الحرام . وفى هذا يقول تعالى (لقد صدق الله رسوله الرؤيا بالحق لتدخلن المسجد الحرام إن شاء الله آمنين محلقين رؤوسكم ومقصرين لا تخافون فعلم ما لم تعلموا فجعل من دون ذلك فتحاً قريباً)

[الفتح ٢٧]

نماذج أخرى

وهذه نماذج عديدة من الوحى بطريق الرؤيا ، وقد آثرنا أن نسوق هذا الحديث لما له من قدر جليل ، ولما فيه من تشريع وخلق نبيل :

روى أبو موسى المدينى فى كتابه الترغيب والترهيب من حديث الفرج ابن فضالة قال : حدثنا هلال أبو جبلة عن سعيد بن المسيب عن عبد الرحمن ابن سمرة قال : خرج علينا رسول الله ﷺ ونحن فى صفة بالمدينة ، فقام علينا فقال « إنى رأيت رجلا من أمتى قد احتوشته الشياطين ، فجاء ذكر الله فطير الشياطين عنه . ورأيت رجلا من أمتى قد احتوشته ملائكة العذاب ، فجاءته صلاته فاستنقذته من أيديهم . ورأيت رجلا من أمتى يلهث عطشاً ، كلما دنا من حوض منع وطرد ، فجاءه صيام شهر رمضان فأسقاه وأرواه . ورأيت رجلا من أمتى ورأيت النبيين جلوساً حلقاً حلقاً ، كلما دنا إلى

حلقة طرد ومنع ، فجاءه غسله من الجنابة فأخذ بيده فأقعده إلى جنبي . ورأيت رجلا من أمتي من بين يديه ظلمة ومن خلفه ظلمة ، وعن يمينه ظلمة ، وعن يساره ظلمة ، ومن فوقه ظلمة ، وهو متحير فيه ، فجاء حجه وعمرته فاستخرجاه من الظلمة ، وأدخلاه في النور . ورأيت رجلا من أمتي يتقي وهج النار وشررها ، فجاءته صدقته فصارت ستراً بينه وبين النار ، وظلا على رأسه . ورأيت رجلا من أمتي يكلم المؤمنين ولا يكلمونه ، فجاءته صلته لرحمه فقالت يامعشر المؤمنين إنه كان وصولا لرحمه فكلموه ، فكلمه المؤمنون وصافحوه وصافحهم . ورأيت رجلا من أمتي قد احتوشته الزبانية ، فجاءه أمره بالمعروف ونهيه عن المنكر فاستنقذه من أيديهم وأدخله في ملائكة الرحمة . ورأيت رجلا من أمتي جاثيا على ركبتيه وبينه وبين الله حجاب ، فجاءه حسن خلقه فأخذ بيده فأدخله على الله عز وجل . ورأيت رجلا من أمتي قد ذهبت صحيفته من قبل شماله ، فجاءه خوفه من الله عز وجل فأخذ صحيفته فوضعها في يمينه . ورأيت رجلا من أمتي خف ميزانه ، فجاءه أفراطه (أي أولاده الذين ماتوا صغاراً) فثقلوا ميزانه . ورأيت رجلا من أمتي قائما على شفير جهنم ، فجاءه رجاؤه من الله عز وجل فاستنقذه من ذلك ومضى . ورأيت رجلا من أمتي قد هوى في النار فجاءته دمعته التي بكى من خشية الله عز وجل فاستنقذته من ذلك . ورأيت رجلا من أمتي قائماً على الصراط يرعد كما ترعد السعفة في ريح عاصف ، فجاءه حسن ظنه بالله عز وجل ، فسكن روعه ومضى . ورأيت رجلا من أمتي يزحف على الصراط يحبو أحيانا ويتعلق أحيانا ، فجاءته صلاته فأقامته على قدميه وأنقذته ، ورأيت رجلا من أمتي انتهى إلى أبواب الجنة فغلقت الأبواب دونه ، فجاءته شهادة أن لا إله إلا الله ففتحت له الأبواب وأدخلته الجنة » .

قال الحافظ أبو موسى : هذا حديث حسن جداً ، رواه عن سعيد بن المسيب عمر بن ذر وعلى بن زيد بن جدعان .

آيات كبرى

ويجدر بنا ، ونحن بصدد الحديث عن النماذج التى رآها رسول الله ﷺ أن نسجل هنا هذه المشاهد وتلك الصور التى رآها السيد الجليل محمد ﷺ ليلة الإسراء والمعراج ، رآها بعينى بصره ، ووقعت أمامه ، فى هذا الطواف المبارك ، الذى صحبه فيه أمين السماء جبريل ، وكان الرسول يسأل عما يرى ، وجبريل الأمين يجيب ويوضح ، حتى يكون لنا فيما رآه الرسول العبرة والموعظة والدروس النافعة الناجعة ، التى تسمو بالمجتمع إلى الدرجات العلى . وترتفع به من غياهب الظلمات وفلول الدجى ، إلى باذخ العلياء وأضواء اليقين .

لقد حدثنا الكتاب العزيز عن هذه المشاهد . فقال :(سبحان الذى أسرى بعبده ليلا من المسجد الحرام إلى المسجد الأقصى الذى باركنا حوله لنريه من آياتنا إنه هو السميع البصير) [الإسراء ١]

وقال فى مشهد المعراج : (مازاغ البصر وما طغى . لقد رأى من آيات ربه الكبرى) [النجم ١٧ ، ١٨]

فبيْن قوله جل شأنه (لنريه من آياتنا) وقوله تبارك وتعالى : (لقد رأى من آيات ربه الكبرى) تتضح لنا هذه المشاهد وضوحاً كله دروس مستفادة.

النهى عن الغيبة

قال رسول الله ﷺ « لما عرج بى إلى ربى عز وجل مررت بقوم لهم أظفار من نحاس يخمشون بها وجوههم وصدورهم ، فقلت: من هؤلاء يا جبريل؟ قال : هؤلاء الذين يأكلون لحوم الناس ويقعون فى أعراضهم » .

هذا تصوير صريح ورهيب . وهل خلت مجتمعات المسلمين من هذه الجريمة النكراء والرذيلة الشنيعة ؟.

هل خلت مجالس الناس من الخوض فى الأعراض ؟.

إن الغيبة كما قال ابن عباس : هى إدام كلاب الناس

هل خلت مجالسنا من تعاطى هذه الفاكهة الفاسدة العفنة التى تخمر فيها جراثيم الانحلال ؟

إن الغيبة هى ذكرك أخاك مما يكره وهو غائب ، فإن كان فيه فقد اغتبته ، وإن لم يكن فيه فقد بهته ، فأنت بين أمرين أحلاهما مر .

احفظ لسانك أيها الإنسان لا يلدغنك إنه ثعبان

وقد صدق الله تبارك اسمه إذ يقول (يا أيها الذين آمنوا اجتنبوا كثيراً من الظن إن بعض الظن إثم ، ولا تجسسوا ، ولا يغتب بعضكم بعضاً ، أيحب أحدكم أن يأكل لحم أخيه ميتاً فكرهتموه ، واتقوا الله إن الله تواب رحيم)

[الحجرات ١٢]

وصدق من قال :

إذا شئت أن تحيا سليما من الأذى … وحظك موفور وعرضك صيّن
لسانك لاتذكر به عورة امرىء … فكلك عورات وللناس ألسن
وعينك إن أبدت إليك مساوئا … فصنها وقل ياعين للناس أعين
وعاشر بمعروف وسامح من اعتدى … وفارق ولكن بالتي هي أحسن

إن من غربل الناس نخلوه ، فإن البر لا يبلى ، والذنب لاينسى ، والديان لا يموت ، اعمل ماشئت كما تدين تدان :

إن هؤلاء الناس كما صورهم الحديث السابق لهم أظفار من نحاس يخمشون بها وجوههم وصدورهم . أى أن الجزاء من جنس العمل ، فإنهم كما شوهوا الناس ، وذكروا عيوبهم ، وهتكوا سترهم ، فإنهم يشوهون أنفسهم بأنفسهم ، أظفار رهيبة تخمش الوجوه وهى مجامع المحاسن ، فيها الأعين والأنوف والأفواه والجباه .

صدقت يارب العزة إذ قلت (إن الذين يحبون أن تشيع الفاحشة فى الذين آمنوا لهم عذاب أليم فى الدنيا والآخرة والله يعلم وأنتم لاتعلمون) [النور ١٩]

فحذار حذار ، وإياك أن تخوض فى أعراض الناس ، أو تجالس قوماً يخوضون فى أعراضهم . قال جل شأنه : (وإذا سمعوا اللغو أعرضوا عنه وقالوا لنا أعمالنا ولكم أعمالكم سلام عليكم لا نبتغى الجاهلين) [القصص ٥٥]

وهذه صورة مشرقة بنور الإيمان ، تفيض جلالا وكمالا وجمالا ، إنه نبي الله موسى ، وقد رآه رسول الله ﷺ فى هذه الليلة قائماً يصلى فى قبره .

فعن أنس رضى الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : « مررت ليلة أسرى بى على موسى عليه السلام قائماً يصلى فى قبره ».

ما أجمل الصلاة ! !

لو لم تكن رأس العبادات لعدّت من صالحة العادات ، رياضةُ أبدان ، وطهارةُ أردان ، وتهذيب وجدان ، وشتى فضائل ، يشب عليها الجوارى والولدان ، أصحابها هم الصابرون والمثابرون ، وعلى الواجب هم القادرون .

عودتهم البكور وهو مفتاح باب الرزق ، وخير مايعالج به العبد مناجاة الرازق ، وأفضل مايرود به المخلوق التوجه إلى الخالق .

أنظر جلال الجمع ، وتأمل أثرها فى المجتمع ، وكيف ساوت العلية بالزمع ، مست الأرضَ الجباهُ ، فالناس أكفاء وأشباه ، الرعية والولاة شرع فى عتبة الله تعالى ، خرَّ الجمع للمناخر ، فالصف الأول كالآخر ، لم يضع المتقدم تقدمه ، ولم يضع المتأخر تأخره .

ما أصدقك يارب العزة ، وقد وصفت نبيك وأصحابه بقولك (محمد رسول الله والذين معه أشداء على الكفار رحماء بينهم تراهم ركعاً سجداً يبتغون فضلا من الله ورضواناً سيماهم فى وجوههم من أثر السجود) [الفتح ٢٩]

ما أصدقك وأنت تقول (أتل ما أوحى إليك من الكتاب وأقم الصلاة

إن الصلاة تنهى عن الفحشاء والمنكر ، ولذكر الله أكبر والله يعلم ماتصنعون) [العنكبوت٤٥]

وما أصدق نبيك المصطفى عليه أفضل الصلاة والسلام إذ يقول : « الصلاة كهف المؤمن » أى مقر سكينته واستقرار نفسه .

وقد كان صلوات الله وسلامه عليه إذا حز به أمر فزع إلى الصلاة .

وكان يقول : « أرحنا بها يا بلال » .

فاللهم لا تحرمنا أجره ، ولا تفتنا بعده ، واجعلنا من المحافظين على أداء فريضتك ، الخاشعين فى صلواتنا ، واستجب دعاءنا ، واغفر ذنوبنا ، وكفر عنا سيئاتنا ، وتوفنا مع الأبرار .

صور مختلفة

قال أبو جعفر بن جرير الطبرى : حدثنا يونس،حدثنا عبدالله بن وهب ، حدثنا يعقوب بن عبد الرحمن الزهرى ، عن أبيه ، عن عبد الرحمن بن هاشم ابن عتبة بن أبى وقاص ، عن أنس بن مالك قال : « لما جاء جبريل إلى رسول الله ﷺ بالبراق فكأنها حركت ذنبها ، فقال لها جبريل: مه يابراق فوالله ماركبك مثله . وسار رسول الله ﷺ ، فإذا هو بعجوز على جانب الطريق : فقال : ما هذه ياجبريل ؟ قال : سر يامحمد ، قال : فسار ماشاء الله أن يسير ، فإذا شىء يدعوه متنحياً عن الطريق ،فقال: هلم يامحمد،فقال له جبريل: سر يامحمد ، فسار ماشاء الله أن يسير . قال : فلقيه خلق من خلق الله ، فقالوا : السلام عليك يا أول ، السلام عليك يا آخر ، السلام عليك ياحاشر . فقال له جبريل : أردد السلام يامحمد ، فرد السلام ، ثم لقيه الثانية فقال له : مثل مقالته الأولى ، ثم الثالثة كذلك حتى انتهى إلى بيت المقدس ، فعرض عليه الخمر والماء واللبن ، فتناول رسول الله ﷺ اللبن ، فقال له جبريل : أصبت الفطرة ، ولو شربت الماء لغرقت وغرقت أمتك ، ولو شربت الخمر لغويت ولغوت أمتك . ثم بعث له آدم فمن دونه من الأنبياء عليهم السلام ، فأمهم رسول الله ﷺ تلك الليلة ، ثم قال له جبريل : أما العجوز التى رأيت على جانب الطريق ، فلم يبق من الدنيا إلا كما بقى من عمر تلك العجوز ; وأما الذى أراد أن تميل إليه فذاك عدو الله إبليس أراد أن تميل إليه . وأما الذين سلموا عليك فإبراهيم وموسى وعيسى عليهم السلام » : وهكذا رواه الحافظ البيهقى فى دلائل النبوة .

فى هذا المشهد ظهرت الدنيا فى صورة العجوز الشمطاء ، فى صورة زوال وانتهاء (إعلمو أنما الحياة الدنيا لعب ولهو وزينة وتفاخر بينكم وتكاثر فى الأموال والأولاد كمثل غيث أعجب الكفار نباته ثم يهيج فتراه مصفراً ثم يكون حطاماً ، وفى الآخرة عذاب شديد ومغفرة من الله ورضوان وما الحياة الدنيا إلا متاع الغرور . سابقوا إلى مغفرة من ربكم وجنة عرضها كعرض السماء والأرض أعدت اللذين آمنوا بالله ورسله ، ذلك فضل الله يؤتيه من يشاء والله ذو الفضل العظيم) [الحديد ٢٠ ، ٢١]

صدقت يارب العزة . فالدنيا لا يغتر بها إلا كل مخدوع ، فإنها إذا حلت أوحلت ، وإذا كست أوكست وإذا جلت أوجلت . وكم من ملك رفعت له علامات ، فلما علا مات .

هى الأيام لا تبقى عزيزاً وساعات السرور بها قليلة
إذا نشر الضياء عليك نجم وأشرق فارتقب يوماً أفوله

إن الرسول ﷺ يصف العلاج للذين تغريهم الدنيا بزخارفها وتلهيهم بخداعها فيقول « كن فى الدنيا كأنك غريب أو عابر سبيل ، وعد نفسك من أهل القبور »

وقد صدق أحد الحكماء إذ يقول :

هى الدنيا تقول بملء فيها حذار حذار من بطشى وفتكى
فلا يغرركمو منى ابتسام فقولى مضحك والفعل مبكى

أخا الإسلام :

صم عن الدنيا وأفطر على الموت ، وأعد الزاد لليلة صبحها يوم القيامة .

وفى هذا المشهد رأى الرسول ﷺ عدو الله إبليس ، يدعوه ويقول له هلم إلى ، وجبريل يقول له سر يا محمد ، وهكذا يمثل لنا هذا المشهد الصراع بين الخير والشر من يوم خلق الله آدم إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها .

قال جل شأنه لآدم وحواء (اهبطا منها جميعاً بعضكم لبعض عدو فإما يأتينكم منى هدى فمن اتبع هداى فلا يضل ولا يشقى . ومن أعرض عن ذكرى فإن له معيشة ضنكا ونحشره يوم القيامة أعمى . قال رب لم حشرتنى أعمى وقد كنت بصيراً قال كذلك أتتك آياتنا فنسيتها وكذلك اليوم تنسى) [طه ١٢٣—١٢٦]

صدقت يارب العالمين يامن قلت : (والله يريد أن يتوب عليكم ويريد الذين يتبعون الشهوات أن تميلوا ميلا عظيما) [النساء ٢٧]

وحيث تقول : (إن الشيطان لكم عدو فاتخذوه عدواً إنما يدعو حزبه ليكونوا من أصحاب السعير . الذين كفروا لهم عذاب شديد ، والذين آمنوا وعملوا الصالحات لهم مغفرة وأجر كبير) [فاطر ٦ ٧]

وفى هذا المشهد رأى رسول الله ﷺ الجانب المشرق الوضاء كوكبة من الأنبياء إبراهيم وموسى وعيسى يلقون عليه السلام ، فيقول له الأمين جبريل : أردد عليهم السلام . صلوات الله وسلامه عليك ياحبيب الله ، وعلى إخوانك الأنبياء الذين قلت فى شأنهم : السلام علينا وعلى عباد الله الصالحين ، فإنكم جميعاً عملتم فى معسكر واحد وهو معسكر التوحيد ، وتحت لواء واحد هو قول لا إله إلا الله ، وقلت وقولك الحق « أفضل ما قلته أنا والنبيون قبلى .لا إله إلا الله » .

وترى الأمين جبريل فى هذا المشهد يقدم للسيد الجليل رسول الله ﷺ لبناً وخمرا وماء ، فيختار النبى اللبن ويشربه ، ويخبره رفيق الرحلة أنه اختار الفطرة .

وهل هناك صفاء ونقاء أعظم من صفاء اللبن .

وهل هناك صفاء ونقاء أعظم من صفاء الإسلام والتوحيد ؟ (وإن لكم في الأنعام لعبرة نسقيكم مما في بطونه من بين فرث ودم لبناً خالصاً سائغاً للشاربين) [النحل٦٦]

وقد كان من سنة النبي ﷺ إذا أكل طعاماً أن يقول : « اللهم بارك لنا فيما رزقتنا وزدنا خيراً منه » أما إذا شرب اللبن فكان يقول: «اللهم بارك لنا فيما رزقتنا وزدنا منه » .

ولم يقرب الرسول الخمر فإنها أم الكبائر ، وما من مجتمع يشتغل بالخمر والمرأة والوتر إلا كان الذل رائده ، والخزى حليفه ، وأذاقه الله لباس الجوع والخوف ، فهذا هو الثالوث المدمر ، ومن ثم فإن الله تبارك اسمه لعن الخمر وشاربها وبائعها ومشتريها وحاملها والمحمولة إليه وآكل ثمنها (يا أيها الذين آمنوا إنما الخمر والميسر والأنصاب والأزلام رجس من عمل الشيطان فاجتنبوه لعلكم تفلحون . إنما يريد الشيطان أن يوقع بينكم العداوة والبغضاء في الخمر والميسر ويصدكم عن ذكر الله وعن الصلاة فهل أنتم منتهون) [المائدة٩٠،٩١] انتهينا والحمد لله .

ولعل سائلا يقول : لِمَ لَمْ يشرب الرسول الماء ؟

ونحن نقول : إذا وجد اللبن فإن فيه الري والغذاء، وفيه الغنى والكفاية، أليس قد اشتمل على جميع العناصر الغذائية ؟ فهل نستبدل الذى هو أدنى بالذى هو خير ؟ وكيف والذى شرب هو سيد العقلاء وخير الأنبياء ؟

أهل السعادة وأهل الشقاوة

قال ﷺ « لما عرج بي إلى السماء الدنيا، قال جبريل لخازن السماء : إفتح، قال : من هذا ؟ قال : جبريل . قال هل معك أحد ؟ قال معي محمد ﷺ ، قال : أرسل إليه ؟ قال : نعم . فلما فتح علونا السماء الدنيا فإذا رجل قاعد على يمينه أسودة وعلى يساره أسودة إذا نظر قبل يمينه ضحك ، وإذا نظر قبل شماله بكى ، فقال : مرحباً بالنبي الصالح والإبن الصالح . قال : قلت لجبريل : من هذا ؟ قال : هذا آدم وهذه الأسودة عن يمينه وعن شماله نسم بنيه ، فأهل اليمين منهم أهل الجنة ، والأسودة التي عن شماله أهل النار ، فاذا نظر عن يمينه ضحك ، وإذا نظر عن شماله بكى » .

هذا مشهد تنبسط له النفس مرة ، وتنقبض له مرة أخرى ؛ تنبسط لأهل اليمين وما هم فيه من النعيم المقيم (وأصحاب اليمين ما أصحاب اليمين . في سدر مخضود . وطلح منضود . وظل ممدود . وماء مسكوب . وفاكهة كثيرة . لامقطوعة ولا ممنوعة . وفرش مرفوعة . إنا أنشأناهن إنشاء . فجعلناهن أبكاراً . عرباً أتراباً . لأصحاب اليمين . ثلة من الأولين وثلة من الآخرين . وأصحاب الشمال ما أصحاب الشمال . في سموم وحميم . وظل من يحموم . لا بارد ولا كريم» . [الواقعة ٢٧-٤٤] .

الحلال والحرام

صدق الله العظيم إذ يقول (قل لا يستوى الخبيث والطيب ، ولو أعجبك كثرة الخبيث فاتقوا الله ياأولى الألباب لعلكم تفلحون) [المائدة ١٠٠]

وصدق جل شأنه إذ يقول (وكلوا مما رزقكم الله حلالا طيباً واتقوا الله الذى أنتم به مؤمنون) [المائدة ٨٨]

وقد قال سعد بن أبى وقاص رضى الله عنه : « يارسول الله سل الله أن يجعلنى مجاب الدعوة ، فقال له سيدنا رسول الله محمد ﷺ : ياسعد ، أطب مطعمك تكن مستجاب الدعوة » .

وصدق رسول الله ﷺ إذ يقول « من نبت جسمه من حرام فالنار أولى به » .

وهذا مشهد من مشاهد المعراج ، يقول فيه سيدنا محمد ﷺ : « . . ثم أوتيت بالمعراج الذى كانت تعرج عليه أرواح الأنبياء قال : فصعدت أنا وجبريل فإذا أنا بملك يقال له إسماعيل : وهو صاحب السماء الدنيا ، وبين يديه سبعون ألف ملك مع كل ملك جنوده مائة ألف ملك . قال : قال الله عز وجل (ومايعلم جنود ربك إلا هو) قال : فاستفتح جبريل باب السماء قيل : من هذا ؟ قال : جبريل ، قيل : ومن معك ؟ قال : محمد . قيل : أوقد بعث إليه ؟ قال : نعم ، فإذا أنا بآدم كهيئته يوم خلقه الله عز وجل على صورته ، فإذا هو تعرض عليه أرواح ذريته من المؤمنين فيقول روح طيبة ونفس طيبة اجعلوها فى عليين ،

ثم تعرض عليه أرواح ذريته الفجار فيقول : روح خبيثة ونفس خبيثة اجعلوها في سجين ، فمضت هنيهة فإذا أنا بأخونة[1] عليها لحم مشرح[2] ليس يقربها أحد ، وإذا أنا بأخونة أخرى عليها لحم قد أروح وأنتن[3] عندها أناس يأكلون منها ، قلت . ياجبريل من هؤلاء ؟ قال : هؤلاء من أمتك يأتون الحرام ويتركون الحلال » .

فاعجب معي ياأخي لقوم رأوا الحلال فاجتنبوه ، ورأوا الحرام فأكلوه ! !

إن أخطر مرحلة تصير إليها المجتمعات أن يصير المعروف منكراً والمنكر معروفاً . فإذا كان كذلك فويل ثم ويل لأهل الأرض من رب السماء (وكذلك أخذ ربك أذا أخذ القرى وهي ظالمة إن أخذه أليم شديد) [هود ١٠٢]

---

(١) الأخونة : هي موائد الطعام . (٢) اللحم المشرح : هو اللحم الطيب الشهي .

(٣) هو الذي تغير طعمه وريحه .

مـــال اليــتــيـم

(وليخش الذين لو تركوا من خلفهم ذرية ضعافاً خافوا عليهم ، فليتقوا الله وليقولوا قولا سديداً . إن الذين يأكلون أموال اليتامى ظلماً إنما يأكلون فى بطونهم ناراً وسيصلون سعيراً)[النساء٩، ١٠]

إذا أردت أن تؤمن على حياة أبنائك من بعدك ، فعليك أن تضع هذه الأسهم فى بنك الرحمن ، جل جلاله : تقوى الله ، والقول السديد ، واجتناب أكل مال اليتامى ، فإن التقوى تنفع الذرية ، وما أجمل ما جاء فى القرآن الكريم (وأما الجدار فكان لغلامين يتيمين فى المدينة وكان تحته كنز لهما ، وكان أبوهما صالحاً ، فأراد ربك أن يبلغا أشدهما ويستخرجا كنزهما . رحمة من ربك [الكهف ٨٢]

وما أجمل قول الرسول ﷺ « خير البيوت عند الله بيت فيه يتيم مكرم » .

وما أعظم قوله مشيراً بأصبعيه السبابة والوسطى « أنا وكافل اليتيم كهاتين فى الجنة »

فماذا رأى ليلة المعراج عن أكل مال اليتيم ؟

قال ﷺ : « ثم مضيت هنيهة فإذا أنا بأقوام مشافرهم كمشافر الإبل قال فتفتح أفواههم ، فيلقمون من ذلك الجمر ، ثم يخرج من أسافلهم ، فسمعتهم يضجون إلى الله عز وجل ، فقلت : من هؤلاء ياجبريل ؟ قال : هؤلاء من أمتك الذين يأكلون أموال اليتامى ظلماً إنما يأكلون فى بطونهم ناراً وسيصلون سعيراً » .

جريمة الزنا

الزنا عدوان على الأعراض ، ولذا فهو أخطر مرض من أمراض المجتمعات ، إذا ابتليت به أمة ضاعت كرامتها ، وانحلت عراها ، ودب الضعف والخور فى أبنائها . وقد صدق الحديث الشريف إذ يقول « ما تركت بعدى فتنة أشد على الرجال من النساء » .

والذى يقول « اتقوا الدنيا ، واتقو النساء » .

وكل أمة ينتشر فيها هذا الوباء الخلق ، فانها تستحل بنفسها غضب الله .

ولقد جاء تعبير القرآن الكريم حازماً جازماً فى النهى عن هذه الجريمة ، إذ يقول جل شأنه (ولا تقربوا الزنا إنه كان فاحشة وساء سبيلا) [الاسراء ٣٢]

إن المتأمل فى هذا النص يجد فيه نهياً عن قرب الزنا ، أى أن الله تعالى حرم علينا أن نسلك طريقاً يقربنا من الزنا ، فالخلوة بالمرأة الأجنبية حرام ، والفطرة ، واللمس ، وغير ذلك مما يؤدى إلى إثارة الغرائز ، وجموح الشهوة ، كل ذلك يعتبر قرباً إلى هذه الجريمة النكراء . ولذا فإن الله نهى عن القرب ، وهذا منطوق الآية الكريمة ، فيكون مفهومها النهى المشدد عن الزنا ، وهذا ما يفهمه كل عاقل . وأما عاقبة الزنا وسبيله فحدث عن ذلك ولا حرج .

قال ﷺ : « الزنا يورث الفقر »

وقال : « بشر الزانى بالفقر ولو بعد حين »

وقال « لم تظهر الفاحشة فى قوم حتى يعلنوا بها إلا فشا فيهم الأوجاع التى لم تكن فى أسلافهم »

فما عاقبة الزناة فى الدار الآخرة ؟ وكيف رآهم رسول الله ﷺ ليلة أسرى به ؟

يقول النبي الكريم ﷺ « ثم مضت هنيهة فإذا بنساء تعلقن بثديهن فسمعتهن يضججن إلى الله عز وجل ، قلت : ياجبريل من هؤلاء النساء ؟ قال : هؤلاء الزناة من أمتك » .

الاسلام وصيانة العرض

يحرص الإسلام حرصاً شديداً على المحافظة على الأعراض من الدنس، والقذف، والسمعة السيئة، ولذلك فانه حرم الزنا ودواعيه، ودعا إلى الزاوج ورغب فيه، ونهى عن كل ما يثير الغرائز الجنسية، وأن الزواج هو الطريقة المثلى لإنجاب السلالة التى تكون مجتمعاً نظيفاً لا غناء فيه ولا رقص ولا اختلاط، وإنما عزة وشرف وطهر ونقاء. ومن ثم فان الزنا جناية قانونية فى الإسلام تستحق أقصى العقوبة، لأنه وخيم العاقبة، ومفض إلى كثير من الشرور والجرائم

ولقد كان الإسلام ملائماً للفطرة البشرية عند ما حرم هذه الجناية التى تتعلق بالأعراض، فالزنا سبب فتاك من أسباب الأمراض الخطيرة التى إذا حلت بالمجتمع قوضت بنيانه الصحى، ودمرته تدميراً، كذلك، فان هذه الجريمة سبب من أسباب سفك الدماء وإزهاق الأرواح، إذ أن الإنسان لا يرضى أن يعتدى أحد على عرضه ويرى أن القتل هو الوسيلة الوحيدة لغسل العار والشنار.

كذلك فان الزنا يدمر نظام البيت ويفسد علاقات الأسرة، ويعرض الأولاد لسوء التربية مما يؤدى إلى انتشار الجريمة والانحراف والتشريد.

عفوا تعف نساؤكم فى المحرم ... وتجنبوا ما لا يليـــق بمسلم

من يزن فى بيت بألفى درهم ... فى بيتـــه يزنى بغير الدرهم

من يزن يُزن به ولو بجداره ... إن كنت يا هـذا لبيباً فافهم

إن الزنا دَين فان أقرضتـه ... كان الوفا من أهل بيتك فاعلم

يا هاتكا ستر الرجال وقاطعاً ... سبل المودة عشت غير مكرم

لو كنت حراً من سلالة طاهر ... ما كنت هتاكا لحرمة مسلم

إن فى الزنا ضياعاً للأنساب ، وإعطاء المال لغير مستحقيه عند الميراث .

وفيه غش وخداع للزوج ، إذ أنه سيدخل عليه من ليس منه ، وأيما امرأة فعلت ذلك فقد برئت منها ذمة الله ، فضلا عن أن هذه الجناية عمل بهيمى لا يأتيه إلا كل مستهتر أثيم ، لا يعبأ بقيم ، ولا يحترم مسئولية .

وقصارى القول إنه قد ثبت ثبوتاً علمياً لا مجال للشك فيه ، عظم ضرر الزنا ، وأنه من أكبر الأسباب الموجبة للفساد الاجتماعى ، والانحطاط الخلقى ، فضلا عن أنه البؤرة الشنيعة للأمراض التناسلية ، ولسوف نورد رأى الطب والعلم الحديث فى الأمراض المترتبة على الزنا .

والزنا مروج للعزوبة واتخاذ الخليلات ، ومن ثم كان أكبر باعث على الترف والإسراف ، والعهر والفجور .

لهذا كله جعل الإسلام عقوبة الزنا أقصى عقوبة . وإذا كانت هذه العقوبة تبدو قاسية فان آثار الجريمة المترتبة عليها أشد ضرراً على المجتمع .

ومن حكمة الإسلام أنه يعقد موازنة بين الضرر الواقع على المذنب ، والضرر الواقع على المجتمع ، ويقضى بارتكاب أخف الضررين ، وهذه هى العدالة .

ولا شك أن ضرر عقوبة الزنا لا توزن بالضرر الواقع على المجتمع من إفشاء الزنا ، ورواج المنكر ، وإشاعة الفحش والفجور .

إن عقوبة الزنا إذا كان يضاربها المجرم نفسه ، فان فى تنفيذها حفظ النفوس وصيانة الأعراض ، وحماية الأسر التى هى اللبنات الأولى فى بناء المجتمع ، وبصلاحها يصلح ، وبفسادها يفسد .

إن الأمم بأخلاقها الفاضلة ، وبآدابها العالية ، ونظافتها من الرجس والتلوث ، وطهارتها من التدلى والتسفل . على أن الإسلام من جانب آخر ، كما أباح

الزواج ، أباح التعدد ، حتى يكون فى الحلال مندوحة عن الحرام ، ولكن لا يبقى عذر لمقترف هذه الجريمة ، وقد احتاط فى تنفيذ هذه العقوبة بقدر ما أخاف الزناة وأرهبهم .

آراء الفقهاء

سبق أن بينا العقوبة الأخروية للزناة ، وسجلنا فى ذلك مشهداً رآه رسول الله ﷺ ليلة الإسراء .

والآن نبحث آراء الفقهاء فى هذه الجناية الخطيرة على الأعراض .

يرى كثير من الفقهاء أن تقرير عقوبة الزنا كانت متدرجة ، كما حدث فى عقوبة تحريم الخمر ، فكانت عقوبة الزنا فى أول الأمر الإيذاء بالتوبيخ والتعنيف . يقول الله جل شأنه (واللذان يأتيانها منكم فآذوهما ، فإن تابا وأصلحا فأعرضوا عنهما) (النساء ١٦)

ثم تدرج الحكم من ذلك إلى الحبس فى البيوت . يقول الله تعالى : (واللاتى يأتين الفاحشة من نسائكم فاستشهدوا عليهن أربعة منكم ، فان شهدوا فأمسكوهن فى البيوت حتى يتوفاهن الموت أو يجعل الله لهن سبيلا)
(النساء ١٥)

ثم استقر الأمر ، وجعل الله السبيل ، فجعل عقوبة الزانى البكر مائة جلدة ، ورجم الثيب حتى يموت .

وكان هذا التدرج يرتقى بالمجتمع ويأخذ به فى رفق وهوادة إلى العفاف والطهر ، وحتى لا يشق على الناس هذا الانتقال ، واستدلوا لهذا بالحديث الذى رواه عبادة بن الصامت رضى الله عنه أن رسول الله ﷺ قال : « خذوا

عنى ، قد جعل الله لهن سبيلا . البكر بالبكر جلد مائة ونفى سنة ، والثيب بالثيب جلد مائة والرجم » رواه مسلم وأبو داود والترمذى .

رأى آخر

ويرى بعض العلماء أن آيتى سورة النساء المتقدمتين وهما قوله تعالى : (واللاتى يأتين الفاحشة من نسائكم فاستشهدوا عليهن أربعة منكم ، فإن شهدوا فأمسكوهن فى البيوت حتى يتوفاهن الموت أو يجعل الله لهن سبيلا . واللذان يأتيانها منكم فآذوهما ، فإن تابا وأصلحا فأعرضوا عنهما) يرى أن الظاهر من هاتين الآيتين أنهما تتحدثان عن حكم السحاق واللواط ، وحكمهما يختلف عن حكم الزنا المقرر فى سورة النور .

فالآية الأولى فى السحاق (واللاتى يأتين الفاحشة من نسائكم) والثانية فى اللواط (واللذان يأتيانها منكم فآذوهما . .)

ويكون المعنى على ذلك أن النساء اللاتى يأتين الفاحشة وهى السحاق الذى تفعله المرأة مع المرأة ، فأمسكوهن فى البيوت حتى الموت ، بعد الإشهاد عليهن حتى لا يكون هناك اختلاط بينهن ، أو يجعل الله لهن سبيلا إلى الخروج ، وذلك بالتوبة أو الزواج المغنى عن المساحقة .

والرجلان اللذان يأتيان الفاحشة ، وهى اللواط ، فآذوهما ، بعد ثبوت ذلك بالشهادة أيضاً ، فإن تابا قبل إيذائهما ، باقامة الحد عليهما ، فإن ندما وأصلحا كل أعمالهما ، وطهرا نفسيهما ، فأعرضوا عنهما بالكف عن إقامة الحد عليهما .

أنواع الزناة

الزانى إما أن يكون بكراً ، أو محصناً ، ولكل منهما حكم يخصه .

حد البكر

اتفق الفقهاء على أن البكر الحر إذا زنى فإنه يجلد مائة جلدة ، سواء الرجال والنساء ، لقول الله سبحانه وتعالى فى سورة النور فى ذلك : (الزانية والزانى فاجلدوا كل واحد منهما مائة جلدة ، ولا تأخذكم بهما رأفة[1] فى دين الله ، إن كنتم تؤمنون بالله واليوم الآخر ، وليشهد عذابهما طائفة من المؤمنين) [النور ٢]

الجمع بين الجلد والتغريب[2]

والفقهاء وإن اتفقوا على وجوب الجلد، فإنهم قد اختلفوا فى إضافة التغريب إليه:

قال الشافعى وأحمد بن حنبل : يجمع إلى الجلد التغريب مدة عام ، لما رواه البخارى ومسلم عن أبى هريرة وزيد بن خالد « أن رجلا من الأعراب أتى رسول الله ﷺ فقال يارسول الله أنشدك الله إلا قضيت لى بكتاب الله ، وقال الخصم الآخر وهو أفقه منه : نعم فاقض بيننا بكتاب الله وأذن لى ، فقال رسول الله ﷺ قل ، قال : إن ابنى كان عسيفاً — أى أجيراً — على هذا ، فزنى بامرأته ، وإنى أخبرت أن على ابنى الرجم ، فافتديت منه بمائة شاة ووليدة ، فسألت أهل العلم فأخبرونى أن على ابنى جلد مائة وتغريب عام ، وأن على امرأة هذا الرجم ، فقال رسول الله ﷺ : والذى نفسى بيده لأقضين بينكما بكتاب الله : الوليدة والغنم ردٌّ عليك[3] ، وعلى ابنك جلد مائة وتغريب عام ، واغدُ يا أنيس — رجل من أسلم — إلى امرأة هذا ، فإن اعترفت فارجمها . قال : فغدا عليها ، فاعترفت ، فأمر بها رسول الله ﷺ فرجمت » ؛

(١) فى هذا نهى عن تعطيل الحدود . وقيل هو نهى عن تخفيف الضرب بحيث لا يحصل وجع معتد به .
(٢) أى النفى
(٣) أى مردودة عليك

وروى البخارى عن أبى هريرة « أن رسول الله ﷺ قضى فيمن زنى ولم يحصن بنفى عام وإقامة الحد عليه » .

وأخرج مسلم عن عبادة بن الصامت أن الرسول ﷺ قال : « خذوا عنى . خذوا عنى ، قد جعل الله لهن سبيلا : البكر بالبكر جلد مائة ونفى سنة ، والثيب بالثيب جلد مائة والرجم » .

والمراد بالتغريب هو نفيه إلى مسافات بعيدة حتى يبعد شره ، ويكفى الناس وباءه .

الزانى المحصن

وأما الزانى إذا كان محصناً ، أى متزوجاً ، فقد اتفق فقهاء الشريعة على وجوب رجمه حتى يموت ، رجلا كان أو امرأة ، واستدلوا بما يأتى :

(١) عن أبى هريرة قال : « أتى رجل رسول الله ﷺ وهو فى المسجد ، فناداه ، فقال يارسول الله إنى زنيت . فأعرض عنه رسول الله ﷺ . فردد عليه أربع مرات ، فلما شهد على نفسه أربع شهادات ، دعاه النبى ﷺ فقال : أبك جنون ؟ قال : لا ، قال : فهل أحصنت ؟ قال : نعم ، فقال النبى ﷺ : اذهبوا به فارجموه . قال ابن شهاب : فأخبرنى من سمع جابر بن عبد الله قال : كنت فيمن رجمه ، فرجمناه بالمصلى ، فلما أزلقته الحجارة هرب ، فأدركناه بالحرة (اسم مكان فى المدينة) فرجمناه » متفق عليه . وهو دليل على أن الإحصان يثبت بالإقرار مرة ، وأن الجواب بنعم إقرار .

(٢) وعن ابن عباس رضى الله عنهما قال : « خطب عمر فقال : إن الله تعالى بعث محمداً بالحق ، وأنزل عليه الكتاب ، فكان فيما أنزل عليه آية الرجم . فقرأناها ووعيناها . ورجم رسول الله ﷺ ، ورجمنا ، وإنى خشيت

إن طال زمان أن يقول قائل : ما نجد الرجم فى كتاب الله تعالى ، فيضلون بترك فريضة أنزلها الله تعالى ، فالرجم حق على كل من زنى من الرجال والنساء إذا كان محصناً ، إذا قامت البينة ، أو كان حمل ، أو اعتراف . وأيم الله لولا أن يقول الناس زاد عمر فى كتاب الله تعالى لكتبتها » . رواه الشيخان وأبو داود والترمذى والنسائى مختصراً ومطولا .

(٣) وجاء فى كتاب نيل الأوطار « أما الرجم فهو مجمع عليه » .

وقد أخرج أحمد والطبرانى فى الكبير من حديث أبى أمامة بن سهل عن خالته العجماء ، أن فيما أنزل الله من القرآن « الشيخ والشيخة إذا زنيا فارجموهما البتة بما قضيا من اللذة » .

شروط الاحصان

وإذا كنا قد فرقنا بين الزانى المحصن وغير المحصن كما سبق ، فانه ينبغى أن نبين الشروط التى يكون بها الإحصان ، فنقول وبالله التوفيق :

١ — التكليف : أى أن يكون الزانى عاقلا بالغاً ، فلو كان مجنوناً أو صغيراً ، فإنه لا يكون محصناً ، وبالتالى فعلى القاضى أن يعزره ، والتعزير عقوبة تفويضية على حسب ما يراه القاضى رادعا وزاجراً .

٢ — الحرية : فلو كان عبداً ، أو أمة ، أى مملوكا أو مملوكة ، فإن الله رفع عنهما الرجم لقول الله تعالى فى حد الإماء (فإذا أحصن فان أتين بفاحشة فعليهن نصف ما على المحصنات من العذاب) (النساء ٢٥)

والمعلوم أن الرجم لا يتجزأ لأنه يؤدى إلى الموت ، والموت لا يقبل التجزئة .

٣ — الوطء فى نكاح صحيح : أى أن يكون الواطىء قد سبق له أن تزوج زواجاً صحيحاً ووطأ فيه ، ولو لم ينزل ، ولو كان فى حيض أو إحرام ، فانه يكفى للإحصان ، فان كان الوطء فى نكاح فاسد فانه لا يحصل به الإحصان ، ولا يلزم بقاء الزواج لبقاء صفة الإحصان ؛ فلو تزوج مرة زواجاً صحيحاً ودخل بزوجته ثم انتهت العلاقة الزوجية ، ثم زنى وهو غير متزوج فانه يرجم . وكذلك المرأة إذا تزوجت ثم طلقت فزنت بعد طلاقها ، فانها تعتبر محصنة وترجم .

ومن الجدير بالذكر أن المسلم والكافر سواء ، إذا ثبت من المسلم الزنا يجب الحد عليه كما يجب على الذمى والمرتد ، لأن الذمى قد التزم الأحكام التى تجرى على المسلمين . وقد ثبت أن النبى ﷺ رجم يهوديين زنيا وكانا محصنين .

وأما المرتد فان جريان أحكام الاسلام تشمله . ولا يخرجه الارتداد عن تنفيذها عليه .

عن ابن عمر : « أن اليهود أتوا النبى ﷺ برجل وامرأة منهم قد زنيا . فقال : ما تجدون فى كتابكم ؟ فقالوا : تسخم وجوههما ويخزيان . قال : كذبتم إن فيها الرجم . فأتوا بالتوراة فاتلوها إن كنتم صادقين فجاءوا بقارىء لهم . فقرأ حتى إذا انتهى إلى موضع منها وضع يده عليه . فقال له النبي ﷺ : ارفع يدك . فرفع يده فاذا هى تلوح . فقال «أو قالوا» يا محمد إن فيها الرجم . ولكنا كنا نتكاتمه بيننا . فأمر بهما رسول الله ﷺ فرجما » .

رواه البخارى ومسلم

وعن جابر بن عبد الله رضي الله عنهما قال « رجم النبي ﷺ رجلا من (أسلم) ورجلا من اليهود » رواه أحمد ومسلم

ولقد غير اليهود حد الرجم فجعلوه جلداً . وقد سأل النبي ﷺ رجلا من اليهود فقال له « أنشدك بالله الذى أنزل التوراة على موسى ، أتجدون حد الله فى الزنا جلداً لا رجماً فى كتابكم ؟ قال الرجل: لا . ولولا أنك نشدتنى بهذا لم أخبرك بحد الرجم . ولكن كثر الزنا فى أشرافنا ، وكنا إذا أخذنا الشريف تركناه واذا أخذنا الضعيف أقمنا عليه الحد . فقلنا تعالوا فلنجتمع على شىء نقيمه على الشريف والوضيع . فجعلنا الجلد مكان الرجم . فقال النبي ﷺ : اللهم إنى أول من أحيى أمرك إذ أماتوه ، فأنزل الله عز وجل قوله (يا أيها الرسول لايحزنك الذين يسارعون فى الكفر من الذين قالوا آمنا بأفواههم ولم تؤمن قلوبهم ، ومن الذين هادوا سماعون للكذب سماعون لقوم آخرين لم يأتوك ، يحرفون الكلم من بعد مواضعه يقولون إن أوتيتم هذا فخذوه وإن لم تؤتوه فاحذروا ، ومن يرد الله فتنته فلن تملك له من الله شيئا أولئك الذين لم يرد الله أن يطهر قلوبهم لهم فى الدنيا خزى ولهم فى الآخرة عذاب عظيم) [المائدة ٤١].

والمراد : يقولون ائتوا محمداً فإن أمركم بالجلد فخذوه ، أى اقبلوا حكمه ، وإن أفتاكم بالرجم فاحذروا ولا تقبلوا حكمه ، فأنزل الله تبارك وتعالى (ومن لم يحكم بما أنزل الله فأولئك هم الكافرون) (ومن لم يحكم بما أنزل الله فأولئك هم الظالمون) (ومن لم يحكم بما أنزل الله فأولئك هم الفاسقون) » .

رواه أحمد ومسلم وأبو داود

هل يجمع بين الجلد والرجم ؟؟

ذهب ابن حزم وإسحاق بن راهويه ، ومن التابعين الحسن البصرى ، إلى أن المحصن يجلد مائة جلدة ثم يرجم حتى يموت ، فيجمع له بين الجلد والرجم ، واستدلوا بما رواه عبادة بن الصامت أن رسول الله ﷺ قال « خذوا عنى ، خذوا عنى ، قد جعل الله لهن سبيلا ، البكر بالبكر جلد مائة ونفى سنة ، والثيب بالثيب جلد مائة والرجم » رواه مسلم وأبوداود والترمذى

وعن على كرم الله وجهه أنه جلد شراحه يوم الخميس ورجمها يوم الجمعة، فقال : أجلدها بكتاب الله ، وأرجمها بقول رسول الله ﷺ

وقال أبو حنيفة ومالك والشافعى : لا يجتمع الجلد والرجم عليهما ، وإنما الواجب الرجم خاصة .

معانى الاحصان

وتتمة لهذا البحث فإننا نذكر هذه الفائدة التى تتعلق بالإحصان :

ورد الإحصان فى كتاب الله تبارك وتعالى بمعنى الحرية . قال تعالى :

(ومن لم يستطع منكم طولا أن ينكح المحصنات المؤمنات فما ملكت أيمانكم من فتياتكم المؤمنات) [النساء ٢٥]

ويأتى بمعنى العفة . قال تعالى :(والذين يرمون المحصنات[1] ثم لم يأتوا بأربعة شهداء فاجلدوهم ثمانين جلدة) [النور ٤]

ويأتى بمعنى التزوج . قال تعالى (والمحصنات من النساء)[2] (النساء ٢٤)

---

(١) أى العفيفات (٢) أى المتزوجات

ويأتى بمعنى الوطء قال تعالى (محصنين غير مسافحين) (المائدة ٥)

والأصل فى الإحصان لغة : المنع ، كما قال تعالى : (لتحصنكم من بأسكم) .

وورد فى الشرع بمعنى الإسلام ، وبمعنى البلوغ ، و بمعنى العقل .

بم يثبت حد الزنا ؟؟

يثبت حد الزنا بأحد أمرين :

الإقرار ، أو الشهود .

١ — ثبوته بالإقرار :

أما الإقرار فهو كما يقولون سيد الأدلة ، وقد أخذ الرسول ﷺ باعتراف (ماعز) (والغامدية) ولم يختلف فى ذلك أحد من الأئمة ، وإن كانوا قد اختلفوا فى عدد مرات الإقرار الذى يلزم به الحد ، فقال مالك والشافعى وداود والطبرى وأبو ثور : يكفى فى لزوم الحد اعترافه به مرة واحدة ، لما رواه أبوهريرة وزيد بن خالد أن رسول الله ﷺ قال « اغد يا أنيس على امرأة هذا فإن اعترفت فارجمها » .

ويرى الأحناف أنه لا بد من الاقرار أربع مرات مرة بعد مرة فى مجالس متفرقة.

ويرى الشافعى والأحنـــاف والحنابلة أن الرجوع عن الإقرار يسقط الحد .

وإذا أقر رجل بأنه قد زنى بامرأة فأنكرت المرأة ، أقيم عليه الحد ،

وحدّ ولا تحد هي ، لما رواه أحمد وأبو داود عن سهل بن سعد أنه قد زنى بامرأة سماها ، فأرسل النبي ﷺ إلى المــــرأة فدعاها ، فسألها فأنكرت ، فحده وتركها .

وهذا الحد هو حد الزنا الذى أقر به ، لا حد قذف المرأة كما ذهب إليه مالك والشافعى . وقال الأوزاعى وأبو حنيفة : يحد للقذف ثمانين جلدة لأن إنكارها شبهة .

٢ ـــ ثبوته بالشهود :

الاتهام بالزنا سيء الأثر فى سقوط الرجل والمرأة وضياع كرامتهما ، وإلحاق العار بهما ، وبأسرتيهما وذريتهما ، ولهذا شدد الإسلام تشديداً بعيد المدى فى إثبات هذه الجريمة النكراء ، حتى يسد السبل على الذين يتهمون الأبرياء ، ويلتمسون لهم العيب ، بعار لا يمحى مدى الدهر ، وفضيحة لا تزول إلى الأبد ، لذلك اشترط الإسلام فى الشهادة على الزنا الشروط الآتية :

١ ـــ أن يكون الشهود ، أربعة ، بخلاف الشهادة على سائر الحقوق . قال تعالى (واللاتى يأتين الفاحشة من نسائكم فاستشهدوا عليهن أربعة منكم ، فإن شهدوا فأمسكوهن فى البيوت حتى يتوفاهن الموت أو يجعل الله لهن سبيلا) ولقوله تعالى (والذين يرمون المحصنات ثم لم يأتوا بأربعة شهداء فاجلدوهم ثمانين جلدة) فان كانوا أقل من أربعة لم تقبل شهادتهم ، وهل يحد الشهود إذا كانوا أقل من أربعة ؟

قال الأحناف ومالك ، والراجح من مذهب الشافعى وأحمـــــد : نعم يحدون .

٢ — البلوغ ، لقول الله تعالى (واستشهدوا شهيدين من رجالكم ، فإن لم يكونا رجلين فرجل وامرأتان ممن ترضون من الشهداء) فان لم يكن الشاهد بالغاً لا تقبل شهادته ، لأنه ليس من الرجال .

٣ — العقل ، فلا تقبل شهادة المجنون ، ولا المعتوه ، فإذا كانت شهادة الصبي لا تقبل لنقصان عقله ، فأولى ألا تقبل شهادة المجنون والمعتوه .

٤ — العدالة ، لقول الله تعالى (وأشهدوا ذوى عدل منكم) [الطلاق ٢] وقوله (يا أيها الذين آمنوا إن جاءكم فاسق بنبأ فتبينوا أن تصيبوا قوماً بجهالة فتصبحوا على ما فعلتم نادمين) [الحجرات ٦]

٥ — الإسلام ، سواء كانت الشهادة على مسلم أو غير مسلم ، وهذا متفق عليه بين الأئمة .

٦ — المعاينة ، أى أن تكون بمعاينة فرجه فى فرجها كالميل فى المكحلة .

٧ — التصريح ، وهو أن يكون التصريح بالإيلاج لا بالكناية أو التورية .

٨ — اتحاد المجلس ، ويرى جمهور الفقهاء أن من شرط هذه الشهادة اتحاد المجلس بأن لا يختلف فى الزمان ولا فى المكان ، فإن جاءوا متفرقين فلا تقبل شهادتهم .

٩ — الذكورة ، ويشترط فى شهود الزنا أن يكونوا جميعاً من الرجال ، ولا تقبل شهادة النساء فى هذا الباب .

سقوط الحد

يسقط الحد إذا ظهر ما يقطع ببراءة الرجل أو المرأة ، كأن تكون المرأة عذراء لم تفض بكارتها ، أو رتقاء مسدودة الفرج ، أو يكون الرجل مجبوباً أو عنيناً .

رحمة الإسلام

ومن رحمة الإسلام أنه حدد لإقامة الحد وقتاً ، فلا يقام فى الحر الشديد ، ولا فى البرد القارص ، ولا يقام على المريض .

وقد جاء (فى نيل الأوطار) أنه لا يلزم حضور الإمام أو الشهود إقامة الحد وإن كان ذلك مستحباً .

كما يستحب شهود طائفة من المؤمنين إقامة الحد مصداقاً لقوله جل شأنه (الزانية والزانى فاجلدوا كل واحد منهما مائة جلدة ولا تأخذكم بهما رأفة فى دين الله إن كنتم تؤمنون بالله واليوم الآخر ، وليشهد عذابهما طائفة من المؤمنين)

ومن أقيم عليه الحد جلداً فلا دية له شرعاً .

الشذوذ الجنسي

بعدما فرغنا من الكلام عن جريمة الزنا ، رأينا لزاماً علينا أن نتكلم عن الجرائم الأخرى ، التي تتعلق بالشهوة الجنسية . ومن أشنع هذه الجرائم ما يسمى باللواط ، أو عمل قوم لوط .

إن جريمة اللواط من الفواحش المفسدة للخلق والفطرة ، والدين والدنيا ، بل وللحياة نفسها ، وقد عاقب الله عليها بأقصى عقوبة ، فخسف الأرض بقوم لوط ، وأمطر عليهم حجارة من سجيل ، جزاء فعلهم ، وأنزل في ذلك قرآناً يتلى ليكون درساً . قال الله تعالى: (ولما جاءت رسلنا لوطاً سيء بهم وضاق بهم ذرعاً وقال هذا يوم عصيب . وجاءه قومه يهرعون إليه ، ومن قبل كانوا يعملون السيئات ،قال يا قوم هؤلاء بناتي هن أطهر لكم فاتقوا الله ولا تخزون في ضيفي ، أليس منكم رجل رشيد قالوا لقد علمت مالنا في بناتك من حق وإنك لتعلم ما نريد . قال لو أن لي بكم قوة أو آوى إلى ركن شديد . قالوا يالوط إنا رسل ربك لن يصلوا إليك فأسر بأهلك بقطع من الليل ولا يلتفت منكم أحد إلا امرأتك إنه مصيبها ما أصابهم إن موعدهم الصبح ، أليس الصبح بقريب . فلما جاء أمرنا جعلنا عاليها سافلها وأمطرنا عليها حجارة من سجيل منضود . مسومة عند ربك ، وما هي من الظالمين ببعيد) [هود ٧٧ — ٨٣]

وقال جل شأنه (ولوطاً إذ قال لقومه أتأتون الفاحشة ماسبقكم بها من أحد من العالمين . إنكم لتأتون الرجال شهوة من دون النساء بل أنتم قوم مسرفون . وما كان جواب قومه إلا أن قالوا أخرجوهم من قريتكم إنهم

أناس يتطهرون . فأنجيناه وأهله إلا امرأته كانت من الغابرين . وأمطرنا عليهم مطراً فانظر كيف كان عاقبة المجرمين) [الاعراف ٨٠ ـ ٨٤]

صدقت يارب العالمين

ماعقوبة من أتى هذا العمل ؟

أمر رسول الله ﷺ بقتل فاعله والمنه .

روى أبو داود والترمذى والنسائى وابن ماجة عن عكرمة عن ابن عباس أن رسول الله ﷺ قال : « من وجدتموه يعمل عمل قوم لوط فاقتلوا الفاعل والمفعول به » .

ولفظ النسائى « لعن الله من عمل عمل قوم لوط . لعن الله من عمل عمل قوم لوط . . لعن الله من عمل عمل قوم لوط » .

وقال الشوكانى : وما أحق مرتكب هذه الجريمة ، ومقارف هذه الرذيلة الذميمة ، بأن يعاقب عقوبة يصير بها عبرة للمعتبرين ، ويعذب تعذيباً يكسر شهوة الفسقة المتمردين . فحقيق بمن أتى بفاحشة قوم ماسبقهم بها من أحد من العالمين أن يصلى من العقوبة بما يكون فى الشدة والشناعة مشابهاً لعقوبتهم ، وقد حلف الله تبارك وتعالى بهم ، واستأصل بذلك العذاب بكرهم وثيبهم ، وإنما شدد الإسلام فى عقوبة هذه الجريمة لآثارها السيئة وأضرارها فى الفرد والجماعة .

ما رأى الفقهاء ؟

أجمع العلماء على حرمة هذه الجريمة ، وعلى وجوب أخذ مقترفيها بالشدة .

ويرى العلماء فى تقدير هذه العقوبة آراء ثلاثة :

١ — مذهب القائلين بالقتل مطلقاً .

٢ — مذهب القائلين بأن حده حد الزانى ، فيجلد البكر ، ويرجم المحصن :

٣ — مذهب القائلين بالتعزير .

المذهب الأول :

يرى أصحاب رسول الله ﷺ والناصر والقاسم بن إبراهيم ، والشافعى فى قول : أن حده القتل ولو كان بكراً ، يستوى فى ذلك الفاعل والمفعول به. ودليلهم على ذلك ما يأتى :

١ — عن عكرمة عن ابن عباس قال : قال رسول الله ﷺ « من وجدتموه يعمل عمل قوم لوط فاقتلوا الفاعل والمفعول به » رواه الخمسة إلا النسائى .

٢ — وعن على « أنه رجم من عمل هذا العمل » أخرجه البيهقى . وقال الشافعى : وبهذا نأخذ برجم من يعمل هذا العمل محصناً كان أو غير محصن .

٣ — وعن أبى بكر الصديق رضى الله عنه « أنه جمع الناس فى شأن رجل ينكح كما تنكح النساء ، فسأل أصحاب رسول الله ﷺ عن ذلك . فكان من أشدهم يومئذ قول على بن أبى طالب رضى الله عنه ، قال : هذا ذنب لم تعص به أمة من الأمم إلا أمة واحدة صنع الله بها ما قد علمتم ، نرى أن نحرقه بالنار فكتب أبو بكر إلى خالد بن الوليد أن يحرقه بالنار » أخرجه البيهقى .

المذهب الثانى :

ذهب سعيد بن المسيب ، وعطاء بن أبى رباح ، والحسن ، وقتادة ،

والنخعى ، والثورى ، والأوزاعى ، وأبو طالب والإمام يحيى ، والشافعى فى قول ، إلى أن حده حد الزانى ، فيجلد البكر ويغرب ، أى ينفى ، ويرجم المحصن ، واستدلوا بما يأتى :

١ — أن هذا الفعل نوع من أنواع الزنا ، لأنه إيلاج فرج فى فرج ، فيكون اللائط والملوط به داخلين تحت عموم الأدلة الواردة فى الزانى المحصن والبكر . ويؤيد هذا حديث رسول الله ﷺ : «إذا أتى الرجلُ الرجلَ فهما زانيان» .

٢ — أنه على فرض عدم شمول الأدلة الواردة فى عقوبة الزنا لهما ، فهما لاحقان بالزانى بطريق القياس .

المذهب الثالث :

ذهب أبو حنيفة ، والمؤيد بالله ، والمرتضى ، والشافعى فى قول ، إلى تعزير مرتكب هذه الفاحشة ، لأن الفعل ليس بزنا فلا يأخذ حكمه . وقد رجح الإمام الشوكانى مذهب القائلين بالقتل ، وضعف المذهب الأخير ، لمخالفته للأدلة ، وناقش المذهب الثانى فقال : إن الأدلة الواردة بقتل الفاعل والمفعول به مطلقاً مخصصة لعموم أدلة الزنا .

وقد قال الله تبارك وتعالى (واللذان يأتيانها منكم فآذوهما)

الاستمناء

وهذه جريمة أخرى من الجرائم التى تتعلق بالغريزة الجنسية ، وهى الاستمناء بالكف أو ما يسمى بالعادة السرية . وهذا عمل يتنافى مع المروءة والأدب ، وحسن الخلق ، تنفر منه الطباع السليمة ، ويمجه أصحاب الذوق .

إحفظ منيك ما استطعت فإنه ماء الحياة يصب فى الأرحام

منيك قوتت ونظرك . منيك مخ ساقتك ، ونور عينيك .

إن العادة السرية لها من الأضرار المادية ما يندى له الجبين حياء وخجلا. إنها تصيب الجهاز العصبى بالخمول والبلادة ، بحيث تجعل صاحبها فى حالة خمول تام ، كما أنها تكون سببا فى الأمراض الخبيثة ، كذلك لها تأثير على المعاشرة الزوجية . كما أنها تصيب الساقين بالضعف ، بحيث لا يقوى من يمارسها على المشى الكثير ، وتصيب البصر بالضعف ، وتصيب صاحبها بالشيخوخة المبكرة .

آراء الفقهاء فيها

ذهب المالكية والشافعية والشيعة الزيدية ، إلى أنها حرام حرمة مطلقة ، واستدلوا على ذلك بقول الله تبارك وتعالى (والذين هم لفروجهم حافظون . إلا على أزواجهم أو ما ملكت أيمانهم فإنهم غير ملومين . فمن ابتغى وراء ذلك فأولئك هم العادون) [المؤمنون ٥ ـ ٧]

ففى هذه الآيات أمر صريح من الله جل شأنه بحفظ الفروج فى كل الحالات ، إلا بالنسبة للزوجة والمرأة المملوكة ملك اليمين ، فلا لوم فى هاتين الحالتين ، فإذا تجاوز المرء هاتين الحالتين واستمنى ، كان من العادين ، أى المعتدين على حدود الله ، المتجاوزين ما أحل الله لهم (ومن يتعد حدود الله فقد ظلم نفسه) .

ولا أجد أقوى من كتاب الله حجة ولا دليلا لقوم يعقلون .

ما العلاج ؟

هناك بديل شرعى عن هذا العمل المنكر .

قال ﷺ « يامعشر الشباب من استطاع منكم الباءة فليتزوج ، فإنه أغض للطرف ، وأحصن للفرج ، ومن لم يستطع فعليه بالصوم فإنه له وجاء » .

صدقت ياسيدى يارسول الله .

فالزواج هو البديل الأول. قال تعالى : (هن لباس لكم وأنتم لباس لهن) أى عصمة ، ووقاية ، وحماية ، ودرع لكم من الوقوع فيما حرم الله .

ومن لم يستطيع الزواج فالبديل هو الصوم .

فالشبع وقود الشهوة ، وقد قالوا : إن الجوع نهر تسبح فيه الملائكة ، والشبع بحر تجرى فيه الشياطين .

وعلى الذين يريدون أن يصوموا لعلاج الغريزة الجنسية أن يراعوا الاعتدال فى طعام الإفطار ، كما صور ذلك سيدنا محمد ﷺ فى قوله « نحن قوم لا نأكل حتى نجوع ، وإذا أكلنا لا نشبع » وفى قوله « ما ملأ ابن آدم وعاء قط شراً من بطنه ، بحسب ابن آدم لقيمات يقمن صلبه ، فان كان لامحالة فثلث لطعامه ، وثلث لشرابه ، وثلث لنفسه » .

وهناك أيضاً الرياضات الروحية ، كالصلوات الخمس ، وقيام الليل الذى قال فيه رسول الله ﷺ « عليكم بقيام الليل ، فإنه دأب الصالحين قبلكم ، ومقربة لكم إلى ربكم ، ومكفرة للسيئات ، ومنهاة عن الإثم ، ومطردة للداء عن الجسد » .

وإن قراءة القرآن ، وذكر الله ، يجلوان صدأ القلوب ، ويقذفان النور فى

فى القلب (يا أيها الذين آمنو إن تتقوا الله يجعل لكم فرقاناً ، ويكفر عنكم سيئاتكم ، ويغفر لكم ، والله ذو الفضل العظيم) [الأنفال ٢٩]

وهناك أيضاً الرياضيات البدنية ، وقد ذكر الحديث الشريف نماذج منها :

« علموا أولادكم السباحة ، والرماية ، وركوب الخيل » .

وإنها لكثيرة متنوعة ، يستطيع الشاب بممارستها أن يحول الطاقة الجنسية إلى قوة تسير فى مسارها الصحيح .

و هناك أيضاً الاحتلام فى المنام ، فإنه متنفس صحى طبيعى .

فيا شباب الإسلام : احذروا كلام المغرورين بكم ، وأصلحوا ولا تتبعوا سبيل المفسدين ، وعيشوا حياة الطهر والنقاء ، واحذروا طريق الظلمات والمغريات .

ماذا يقول العلم ؟

رأينا من تمام الفائدة فى هذا الموضوع الخطير ، أن نسجل قول العلم فى جريمة الزنا ، وما ينجم عن تلك الجناية من الأضرار الخطيرة ، حتى يصافح العلم الدين فى وفاق وتفاهم تام .

ولعل القارىء يكون على بصيرة وبينة من أن العلم هو سلاح الإسلام الذى قال كتابه العزيز : (هل يستوى الذين يعلمون والذين لا يعلمون) وحتى تعلم البشرية جمعاء مدى مايترتب على هذه الجريمة الخلقية من أضرار بالصحة والمجتمع .

واسألوا التاريخ عن الإمبراطوريات التى اندحرت واندثرت وذهب ريحها ، بسبب الإنهماك فى الشهوات والجنس .

الامبراطورية الإغريقية والرومانية والفارسية ، كل هذه الامبراطوريات التى شمخت اندحرت واندثرت ، بسبب فشو هذه الجريمة بين أبنائها .

وقد صدق الله تعالى إذ يقول (وكأين من قرية عتت عن أمر ربها ورسله فحاسبناها حساباً شديداً وعذبناها عذاباً نكراً . فذاقت وبال أمرها وكان عاقبة أمرها خسراً) [الطلاق ٨ ، ٩]

فماذا قال العلم عن جريمة الزنا ؟

جاء فى كتاب القرآن والطب للدكتور محمد وصفى مابلى :

قال الله تعالى (ولا تقربوا الزنا إنه كان فاحشة وساء سبيلا) .

وسنتكلم عن أضرار الزنا من الناحية الطبية ، لنرى ماتجره هذه الفاحشة على مرتكبيها من المصائب ، التى لايزال العالم يرزح تحت عبئها ، والتى تنخر فى عظام الإنسانية كما ينخر السوس فى مادة الخشب :

الزهرى

ومن هذه المصائب الزهرى ، وحين أتكلم عن الزهرى، إنما أتكلم عن ثالث مرض فى العالم ، منوط به إرهاق النفوس وتضييع الأرواح ، وأول مرض لا يريح المصـــاب بالموت حتى يتركه بحال يفتت الأكباد ، ويذيب الأفئدة ، ممثلا به شر تمثيل .

هذا الداء ينتشر فى العالم انتشار فاحشة الزنا ، وتجد الإصابة به فى لندن وحدها حوالى ١٠ ٪ ، أى أن عدد المصابين يبلغ الستمائة ألف شخص ، وفى برلين ١٢ ٪ ، وفى باريس ١٥ ٪ . ولقد وجد أنه فى جوتنبرج التى يبلغ عدد سكانها ١٣٨١٣٠ نفس يبلغ عدد المصابين ٤٧ ألف شخص .

وقال العلامة بنكسن : إنه فى ألمانيا بأجمعها تجد فى كل خمسة رجال رجلين مصابين بهذا الداء . وفى الولايات المتحدة الأمريكية ٣٠٠٠ ثلاثة آلاف شخص يقضى عليهم هذا الداء سنويا .

أما فى مصر فلقد وجد أنه فى سنة ١٩٣١ تردد على الأربع عشرة عيادة سرية ٢٥٠ ألف زان مريض بالزهرى . والمعروف أن عدد المصابين فى القطر المصرى لا يقل عددهم عن المليونين . ولا يغيب عن البال أن المصابين الذين لا تبلغ إصاباتهم إلى الجهات المختصة لا يعلم عددهم غير الله تعالى .

هذا المرض يعدى بمجرد اللمس عن طريق الزنا ، أو بمجرد تقبيل المصاب لغيره ، أو ملامسته ، وتسببه جرثومة خاصة تسمى (الاسبيروشيت باليدا) .

وتستطيع أن تلمس حقيقة هذا المرض إذا علمت أنه لا يترك جزءاً من أجزاء الجسم حتى يترك فيه آثاره؛ ولا يدع فيه جهازاً حتى يعطل عمله ويفسد وظيفته.

وسوف ترى حين نتكلم عن الزهرى الوراثى أن الإصابة تنتقل إلى نسل المصابين، وستعلم كيف يحمل الزناة إلى ذريتهم أخبث الرزايا وأشنع الأمراض:

إن ظهور القرحة التآكلية أو التقرحية فى موضع الإصابة ما هو إلا الإنذار الخطير بغزو الجراثيم لجميع أجزاء الجسم عن طريق الأوعية الدموية والليمفاوية جميعاً، ومن ثم يحمر الجلد، ويأخذ الاحمرار شكل دوائر وردية لا تلبث أن تأخذ شكلا خاصاً يتحول إلى ما يسمى بالزهريات الحبيبية بجميع أشكالها وأنواعها؛ أو تتحول إلى حويصلات زهرية، فزهريات ملية، والزهريات الحبيبية لا تلبث أن تتقيح سريعاً حتى تتكون الربيا الزهرية. ويظهر كل ذلك مع تضخم لا يلبث أن يعم غدد الجسم الليمفاوية التى تتقيح سريعاً إذا ما وصلتها الجراثيم العنقودية والسبحية. وتصيب جلود المرضى بالزهرى مظاهر مشوهة لهذا الداء العضال، تعم جميع سطح الجسم، كالطفح الزهرى الحبيبى، والشعبانى، والنكسى، والعقدى، وكالصلع، والبهق الزهريين، وذلك بجانب إصابة الأظافر وجعلها مشوهة هشة سهلة الكسر مثقوبة القاعدة، وكذلك الأنسجة المحيطة بها لا تنجو من الالتهاب الداحس الزهرى، بل هنالك القروح العميقة والأورام الصمغية التى تتغلغل فى الجلد حتى تكشف عن العظام وأربطة العضلات وتنتشر فى السطح الوحشى للساقين وخلف الفخذين والأليتين، وخلف الساعدين والمرفقين، وللسطح الوحشى للركبتين، والسطح الخارجى للكتف، وخلف اليدين، وفى السطح

الأعلى للقدمين ، وفى فروة الرأس ، فتتلف العضلات ، وتتفتت العظام ، وتتساقط شظاياهم ، وتتآكل أجزاؤها ، ويصاب سمحاقها ونسيجها الداخلى ، وتغزو الجراثيم مفاصلها ، فتصيبها بالورم والاستسقاء ، ويلتهب غشاؤها الزلالى .

والعين يصيبها الزهرى ، ويهلكها بجراثيمه . ولقد وجد فى لندن أن نسبة العمى الزهرى تبلغ ٣٫٥ ٪ من مجموع الإصابات بهذا الداء .

وأما عن الإصابة فى الأذن ، فيكفى أن تعرف أن ٣٥ ٪ من المصابين تفقد آذانهم وظائفها ويصابون بالصمم .

والزهرى يصيب أجزاء الفم إصابات بالغة ، فترى اللسان وقد ظهرت فيه القروح الزهرية ، واللطخ المخاطية ، حتى ينتهى الأمر بتضخمه وانكماشه ، وضمور نسيجه وتشققه . وانتشار القروح الزهرية والأورام الصمغية فيه ، ولوزة الحلق تتعرض للورم الصمغى ، وكذلك البلعوم ، تظهر فيه التقرحات الزهرية التى قد تعوق التنفس والبلع على وجه خاص ، لألتحام البلعوم بالحلق الرخو ، ويلتهب سمحاق الأخير ويصاب بالقروح الزهرية ، وينتهى الأمر بحدوث فجوة متسعة فى حلق المريض .

وتمتد الإصابة من الفم إلى المرىء ، فيتعرض للاصابة بالقروح والانسداد والشلل ، ومنه إلى المعدة ، فتتقرح وتنتشر فيها الصموغ الزهرية ، وتتعرض للنزف الدموى والإنسداد فى إحدى فتحتيها ، وتصل الإصابة من المعدة إلى جميع أجزاء الأمعاء الدقيقة والغليظة والمستقيم ، وفتحة الشرج ، مما يعرض المريض لأشد الأخطار وأسوأ النتائج .

والجهازان البولى والتناسلى يتعرضان للتلف والدمار ، فيعطل عمل الـكليتين بإصابتها بالقروح والأورام الصمغية ، وكذلك المثانة وجميع أجزاء الخصيتين والمبيضين ، وسائر أجزاء الجهازين .

ويغزو الزهرى الجهاز التنفسى كذلك ، فتصاب الشعب الهوائية بالتقرحات المزمنة ، والأورام الصمغية التى تمتد إلى الرئتين فتعطل عملها ، ويتسبب عن ذلك الموت .

وتصيب جراثيم الزهرى الدورة الليمفاوية ، وتعطل عملها ، بما ينجم عن التهاب قنواتها وانتفاخها ، وتضخم الغدد التى قد تتيح عند وصول الجراثيم إليها ، بل إن إصابة الجهاز الدورى مما يورد الزناة شر موارد الدمار والهلاك ، إذ تلتهب أهم شرايين الجسم وأوردته ، ويتصلب نسيجها ، وتتليف أجزاؤه التى قد تصاب كذلك بالأورام الصمغية . وإنك لتجد معظم ذوى الأمراض القلبية المزمنة ، وموتى الفجاءة ، ضحية هذا الداء العضال .

وتصيب الجراثيم كذلك الغدد اللاقنوية بتلك الأورام الصمغية ، وهذه الغدد كالبروستاتة ، والمبايض ، والغدة النخامية والغدد التى فوق الـكليتين ، والغدة الدرقية وغيرها » .

ثم قال المؤلف بعد ذلك « ويطول بنا شرح الضرر الناجم عن إصابة هذه الغدد ، لما لها من بعيد الأثر فى جسم الإنسان ، وكبير سيطرتها عليه وخطورة شأنها فى تقويم وظائفه وحفظ كيانه » .

الزهـــرى والجهاز العصبى

بعد ما وضح لنا بطريقة علميـــــــة مدى ما يفتك به ذلك المرض الخطير بأجهزة الجسم ، ذكر المؤلف بعد ذلك الأخطار التى يحدثها الزهرى بالجهاز العصبي فقال :

أما ما يفعله الزهرى فى الجهاز العصبي ، ويحدثه فى سائر أجزائه ، ويسببه فى جميع خلاياه ، من تعطيل وظائفها ؛ بضمور نسيجها أو تلفه ، وتحلله كما يحصل فى مرض الشلل العام المجانين ، فهو مما لا يستطيع القيام بمثله داء كهذا فى شدة بطشه بضحاياه ، وبعيد تغلغله فى أدق نوايا وجودهم ، وعظيم أثره فى القضاء عليهم .

وحسبك أن تعلم أن الزهرى يفتك بمخ الزانى فتكا ذريعا ، فتلتهب ضحاياه خاصة جزء « الأم الحنـون » وتصاب كذلك أوعيته الدموية التى تضيق حتى ينتهى الأمر بإفسادها ، ومنع الغـذاء عن الأجزاء التى تغذيها بالدماء ، وحينئذ يحـدث الأعراض التى سيأتى الإشارة إليها ، بل هنـالك الأنزفة المخية الناشئة عن انفجار الأوعية الدموية .

والأورام الصمغية لا تترك المخ حتى تبليه ، وتعطل عمله ، وهو أم مركز فى جميع أجزاء البـدن على الإطلاق . وإصابة المخ فى أبسط أشكالها تحدث الصداع الدائم ، والقىء ، والنوبات العصبية ، التى قد تتـكرر مرات فى اليوم الواحد ، وشلل العضلات المحركة للعين ، والتهاب عصب الإبصار ، ويصاب الجسم بعضه أو كله كذلك بالشلل الذى يوصل الزانى إلى القبر بعد أن يذيقه أشد الآلام .

وقد تحدث الإصابة فى لسان المصاب ويصاب بالبكم ، بل هنالك بجانب ما تقدم أعراض أخرى تعتبر أبسطها جميعاً ، رغم عظم خطرها ، كالذهول ، والهذيان ، وفقد الذاكرة التى تنتهى بالجنون .

وتختلف أعراض زهرى المخ باختلاف مواضع امتداد الإصابة ، فاذا أصيب عصب الشم مثلا فقدت هذه الحاسة ، وإذا أصيب عصب البصر ، كان فقده وذهابه ، وهكذا .

السيـــــــلان

ونكتفى بهذا القدر من الكلام عن الزهري ، لننتقل بعد ذلك إلى الكلام عن مرض آخر تسببه جريمة الزنا ألا وهو السيلان .

قال صاحب كتاب القرآن والطب :

إن السيلان من الأمراض الفتاكة التى تسببها هذه الفاحشة ، ويسبب هذا الداء جرثومة خاصة تسمى (الجونوككس) ولكى تعرف مقدار انتشار هذا المرض فى الهيئة الإجتماعية ، ومبلغ تغلغله فى أفرادها ، يكفيك أن أذكر مثلا لذلك من إحصائيات لندن أن ٦٠٪ من عدد أفرادها البالغين مصابون بهذا الداء ، ويتراوح عدد المصابين فى باريس من ٧٥٪ إلى ٩٠٪ ، وفى برلين من ٦٠٪ إلى ٧٠٪ وفى نيويورك تجد فى كل مائة شخص ٨٠ مصابين بالسيلان ، هذا فى أرقى البلاد حضارة وأرسخها قدماً فى علم الطب ، وأكبرها ادعاء للمدنية والرقى .

وليس مرض السيلان بالعلة الهينة السهلة ، التى لا تستدعى الانتباه ، بل هو من أكبر المعضلات الإجتماعية الخطيرة ، التى حار فى علاجها الأطباء والساسة والمشرعون ، فهو مرض فتاك ، يترك المصاب به فى حالة من الألم

والمرض مما يعطل حركته ، ويشل تفكيره ، ويجعله في المجتمع عضواً أشل ، لا فائدة فيه ولا نفع منه ، وذلك فوق ما تبتلى به النساء ، فيجعلهن مستودعاً خطراً للعدوى وأداة لتشويه النسل ، والقضاء على الذرية .

إصــــابة المرأة

لقد ثبت أن كل امرأة اتصلت برجل مصاب بهذا الداء لابد أن تصاب هي الأخرى به لاستعدادها لقبول العدوى ، ولقابلية جهازها التناسلي لاستقبال جراثيمه المرضية ، فتفتك به ، وتعطل وظيفته إذا لم تفقدها تماماً .

ويصاب مجرى بول المرأة بهذه الجراثيم ، فيلتهب وتتضخم حافتاه ، ويظهر القيح السيلاني الكريه الرائحة من فتحته ، وكثيراً مايزمن المرض في هذا المكان ، حين تختفي جراثيمه في بقع استحالة نسيجية في غشائه ، ويحدث تليف في غدد (ليتر) فتضيق فتحة مجرى البول ، وقد يمتد التليف إلى المجرى نفسه كذلك ، وتصيب جراثيم المرض قناتي (سكين) اللتين تظهر فتحتاهما على جانبي مجرى البول ، وكثيراً ما تكون إصابة القناة سبباً في انتكاس المرض وإزمانه .

والعدوى تمتد من قناة المجرى البولي إلى المثانة ، فتتعطل وظيفة الجهاز البولي وتشعر المريضة بألم كبير فوق عانتها ، وميل إلى التبول الكثير ، مع الألم في كل مرة ، ونزول نقط دموية من أثر تلك الإصابة .

كذلك يصيب السيلان الرحم ، وهو موطن الجنين ، والقرار المكين ، فيلتهب عنقه ، إذ تتسرب الجرثومة إلى غشائه الداخلي ، وتخترقه وتختبىء في الغدد والقنوات التي توجد في الطبقة تحت الغشائية والعضلية فيه ، حيث يزمن المرض وتكثر الإفرازات الالتهابية ، وتشتد الآلام في الظهر وفي العمود الفقري وترتبك دورة الحيض مع الألم المبرح أثناءه ، فإذا كانت المرأة حاملا فإن

الطفل تصاب عيناه عند الولادة بالسيلان الصديدى ، فيذهب بصره ، وتتلف عيناه .

ثم انتقل المؤلف بعد ذلك إلى الكلام عن إصابة الرجل بالسيلان فقال :

ويصيب السيلان الرجل إصابات بالغة ، إذ تلتهب عنده كذلك فتحة البول ، ويشتد إحمرارها ، وتصاب حوافيها بالمرض فتنقلب على نفسها ، وقد تتآكل أطرافها ، ثم يمتد المرض فى عضو التناسل ، فيعوق التبول ، ويشعر المصاب بالآلام المبرحة أثناءه ، وتفتك الجراثيم بالغشاء الداخلى المجرى البولى ، ويشتد تكاثر الصديد ، ثم ينتهى الأمر بضيق المجرى ، وتعذر البول ، أو امتناعه مطلقاً ، وذلك لتكون ألياف خاصة نتيجة التهابات فى الطبقة تحت الغشائية للمجرى .

وكثيراً ما تصحب الدماء السيلان المدى القيحى ، وتنسد القنوات المحاذية للمجرى البولى ، ويشعر المصاب بألم شديد مثل كى النار عند خروج البول ، وقد يمتد الألم إلى الشرج والفخذين .

القرحة الرخوية

ونكتفى بهذا الجزء من مرض السيلان ، لينتقل الحديث بنا إلى مرض آخر ينشأ عن فاحشة الزنا ، ألا وهو القرحة الرخوية .

قال صاحب كتاب القرآن والطب :

والزنا فوق ما يسبب من الزهرى ، والزهرى الوراثى ، والسيلان ، يعرض الأشرار كذلك للاصابة بالقرحة الرخوية ، التى تسببها جراثيم خاصة تسمى (باصلاب ذكرى) ويكثر ظهورها فى جسم القضيب ، أو فى الصفن أو العانة أو عند فتحة القلفة ، أو عند تلاقى الحشفة بجسم القضيب ، أو فى الثنية تحت الحشفة وفى الإناث يكثر وجودها فى الشفرين والشوكة ، والبطين ، والفخذين ، وقرب فتحة الشرج .

والقرحة سريعة العدوى، ويوجد منها نوعان، هما القرحة الرخوية المرتفعة، والقرحة الرخوية الثعبانية ، وتختلف هذه القرحة عن قرحة الزهرى بكونها قابلة للتعدد فى نفس المريض ؛ بمجرد العدوى الذاتية ، أو الامتداد ، وحسبك أنها كثيراً ما تسبب الاختناق أو الانكماش ، كما يحصل فى السيلان .

وهذا بجانب تعرض المصاب للغنغرينا والخراجات ، والأنزفة الدموية ، وتقيح الغدد الليمفاوية وقنواتها، وإتلافها التام للعضو المصاب بها ، إلى غير ذلك من مختلف الإصابات .

القرحة الأكالة

والقرحة الأكالة من الأمراض الخطرة التى يحدثها الزنا كذلك ، وتمتاز هذه القرحة كما يدل اسمها بشدة تأثيرها ، وإتلافها المستمر للأنسجة التى حولها ، مع عدم رضوخها للعلاج . وحسبك عملها على تآكل أعضاء التناسل ، وإحداثها للأزمة الدموية ، والغنغرينا ، وتسمم الدم ، وتهتك الأنسجة المختلفة ، كالعضل والعظم ، إلى غير ذلك من سائر الأجزاء .

ماذا يقول العلم عن الشذوذ الجنسى ؟

بعد ما تبين لنا بالحقائق العلميــة مدى الأضرار الجسيمة التى تنجم عن اقتراف جريمة الزنا ، وبعدما تبين لنا ما يحويه الإسلام من عظمة عند ما شدد فى تحريم هذه الجريمة ، ونطق كتابه المعجز فى صراحة وقوة قائلا (ولا تقربوا الزنا إنه كان فاحشة وساء سبيلا) .

بعد ما تبين لنا كل هذا ، فإنه من المنطق أن نسأل العلم عن الأضرار التى تنجم عن الشذوذ الجنسى ، أو ما يسمى بعمل قوم لوط ، والذى قال فيه مولانا تبارك وتعالى (كذبت قوم لوط المرسلين . إذ قال لهم أخوهم لوط ألا تتقون . إنى لكم رسول أمين . فاتقوا الله وأطيعون . وما أسألكم عليه من أجر إن أجرى إلا على رب العالمين . أتأتون الذكران من العالمين . وتذرون ما خلق لكم ربكم من أزواجكم بل أنتم قوم عادون) [الشعراء ١٦٠-١٦٦]

وبين الله جزاءهم بعد ذلك ، وكيف كان العذاب رادعاً وزاجراً ، حيث قال جل شأنه فى كتابه العزيز (ثم دمرنا الآخرين . وأمطرنا عليهم مطراً فساء مطر المنذرين) [الشعراء ١٧٢ ، ١٧٣]

وبين أن هذا العقاب آية لمن أراد أن يذكر ويعتبر بالأحداث ، أما من غفل عن التذكرة ، وعمى عن التبصرة ، فإنه ليس بمنأى عن هـذا العقاب .

قال جل شأنه (إن فى ذلك لآية) [الشعراء ١٧٤] .

وقال فى موضع آخر (فلما جاء أمرنا جعلنا عاليها سافلها وأمطرنا عليها

حجارة من سجيل منضود . مسومة عند ربك وما هى من الظالمين ببعيد) .
[هود ٨٢ ، ٨٣]

وبعد ما فرغنا من حكم الشرع ، فيمن اقترف هذه الجريمة الخلقية ، وفصلنا أقوال الفقهاء فيما سبق ، فاننا نترك الكلام للعلم الطبى يتحدث بلسان واقعى عن الأمراض والأخطار التى تنشأ عن هذا العمل الأثيم .

جاء فى كتاب « القرآن والعلم » قول المؤلف :

أهم الأسباب التى حرم اللواط من أجلها بقاء الجهاز التناسلى عند الرجل وعند المرأة سليما ، إذ أن لسلامته تأثيراً كبيراً فى سلامة كل عضو آخر من أعضاء الجسم . فمن المعروف علمياً أن الإفرازات التى يفرزها الجهاز التناسلى ترتبط بأوثق الصلات بافرازات الغدة النخامية ، تلك الغدة الصغيرة الحجم ، العظيمة الشأن ، التى فى أسفل المخ ، والتى تتحكم فى نشاط أعضاء الجسم وأجهزته المختلفة : القلب وسائر الأعضاء الأخرى ، والجهاز الهضمى ، والجهاز التنفسى ، والجهاز العصبى .

والجهاز التناسلى فى الرجل والمرأة جهاز خال من الجراثيم تماماً ، بعكس نهاية الأمعاء الغليظة ، فان الفضلات التى تخرج منها يتكون معظمها من جراثيم ضارة : جراثيم معروف علمياً أنها هى التى تسبب التقيح ، ولا يحتاط لها الجسم إلا فى هذا المكان فحسب ، بحيث لو وجدت فى مكان آخر لأدت إلى أعظم الضرر . فتسربها إلى الجهاز التناسلى للرجل أو المرأة أو كليهما معاً عن طريق اللواط يفقد هذا الجهاز صفة طهارته من الجراثيم ، فيصبح مرتعاً لهذه الجراثيم التى تحدث التهاباً وتقيحاً تزداد خطورته كلما ازداد عدد هـذه الجراثيم ، ويترتب على هذا ضعف الحيوانات التناسلية ، وربما أدى ذلك إلى القضاء عليها .

وبما أن الجهاز التناسلي والغدة النخامية مرتبطان — كما أسلفنا — ارتباطاً وثيقاً ، فانه يترتب على التهاب الجهاز التناسلي واضطراب إفرازاته اضطراب إفرازات الغدة النخامية ، فيتأثر باضطرابها الجسم كله .

هذه الحكم البالغة تحيطنا بسياج يحمينا من الوقوع فريسة لأمراض قد يستعصى علاجها ، كما أن هذه الأجازة التي فرضها الله سبحانه وتعالى على الرجل مدة الحيض ، إنما هي فترة استجمام للرجل أياً كانت قوته ، يكون بعدها أشد رغبة في المباشرة وأكثر إقبالا عليها . اهـ .

إلهي ، ما أعظم حكمتك ، وما أجل قدرتك ، خاطبت العقول فبينت لها طريق الغي من الرشد ، ووجهت النفوس فأوضحت لها طريق الظلمات من النور ، وأخذت البشرية بتوجيهاتك السديدة ، فمن اتبع هداك فلا يضل في الدنيا ، ولا يشقى في الآخرة ، ومن أعرض عن ذكرك فان له في الدنيا معيشة ضنكا ، وتحشره يوم القيامة أعمى .

اللهم خذ بأيدينا إلى طريق النجاة ، وإذا أردت بعبادك فتنة فاقبضنا إليك غير فاتنين ولا مفتونين

أكلة الربا

ونواصل المسيرة المقدسة مع رسول الله ﷺ ليلة إسرائه .

قال ﷺ « ثم مضيت هنيهة . فإذا أنا بأقوام بطونهم أمثال البيوت ، كلما نهض آخرهم خر ، فيقول : اللهم لا تقم الساعة ، قال : وهم على سابلة آل فرعون . قال : فتجيء السابلة فتطؤهم . قال : فسمعتهم يضجون إلى الله — قال : قلت يا جبريل : من هؤلاء ؟ قال : هؤلاء من أمتك (الذين يأكلون الربا لا يقومون إلا كما يقوم الذي يتخبطه الشيطان من المس) . [البقرة ٢٧٥]

الربا ذلك المرض الاجتماعي الخطير ، الذي يغرس في النفس الرذائل ، التي على رأسها الأنانية والاستغلال ، وامتصاص دماء العباد ، وحب الكسل ، والترهل ، والعيش على حساب الآخرين .

ومن هنا فقد جاء التحذير منه صارماً وشديداً .

قال تعالى (الذين يأكلون الربا لا يقومون إلا كما يقوم الذي يتخبطه الشيطان من المس ، ذلك بأنهم قالوا إنما البيع مثل الربا ، وأحل الله البيع وحرم الربا ، فمن جاءه موعظة من ربه فانتهى فله ما سلف وأمره إلى الله ، ومن عاد فأولئك أصحاب النار هم فيها خالدون . يمحق الله الربا ويربي الصدقات والله لا يحب كل كفار أثيم . إن الذين آمنوا وعملوا الصالحات وأقاموا الصلاة وآتوا الزكاة لهم أجرهم عند ربهم ولا خوف عليهم ولا هم يحزنون . يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله وذروا ما بقي من الربا إن كنتم مؤمنين . فان لم تفعلوا فأذنوا بحرب من الله ورسوله ، وإن تبتم فلكم رؤوس أموالكم لا تظلمون ولا تظلمون . وإن كان ذو عسرة فنظرة إلى ميسرة وأن تصدقوا خير لكم إن كنتم تعلمون . واتقوا

يوماً ترجعون فيه إلى الله ثم توفى كل نفس ما كسبت وهم لا يظلمون)
[البقرة ٢٧٥ ـ ٢٨١]

كفاك أيها المسلم أن تقف أمام قوله تعالى (فإن لم تفعلوا فائذنوا بحرب من الله ورسوله) .

من ذا الذى يطيق إعلان الحرب من الله ورسوله ؟ ؟

إن الحرب من الله ورسوله أمر خطير ، إنها محق البركة ، وتدمير القوة ، وضياع الصحة ، والذل والهوان (وضرب الله مثلا قرية كانت آمنة مطمئنة يأتيها رزقها رغداً من كل مكان فكفرت بأنعم الله فأذاقها الله لباس الجوع والخوف بما كانوا يصنعون) [النحل ١١٢]

ما هو الربا ؟

يقول فقهاء الشريعة : إن الربا هو الزيادة على رأس المال ، أى مبادلة مال بمال مع الزيادة . ويدل على ذلك قوله جل شأنه (وإن تبتم فلكم رؤوس أموالكم لا تظلمون ولا تُظلمون) .

ما حكمه ؟

الربا فى شرع الله حرام ، حرمة قطعية ، وقد ثبتت حرمته ثبوتاً صريحاً ، وجاء الحكم بحرمته فى عدة مواضع فى القرآن الكريم مرتباً ترتيباً زمنياً .

ففى العهد المكى نزل قوله تعالى (وما آتيتم من رباً ليربو فى أموال الناس فلا يربو عند الله ، وما آتيتم من زكاة تريدون وجه الله فأولئك هم المضعفون)
[الروم ٣٩]

وفى العهد المدنى نزل تحريم الربا صراحة فى قول الله سبحانه (يا أيها

الذين آمنوا لا تأكلوا الربا أضعافاً مضاعفة واتقوا الله لعلكم تفلحون)
[آل عمران ١٣٠]

وقوله جل شأنه (وأحل الله البيع وحرم الربا) .

وقوله تعالى (يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله وذروا ما بقى من الربا إن كنتم مؤمنين . فإن لم تفعلوا فأذنوا بحرب من الله ورسوله ، وإن تبتم فلكم رؤوس أموالكم لا تظلمون ولا تظلمون) .

وفى هذا النص الكريم دلالة قاطعة على أن الربا حرام ، سواء كانت الزيادة قليلة أو كثيرة ، لأن الله تعالى يقول (وإن تبتم فلكم رؤوس أموالكم) وبناء على ذلك فان ما زاد على رأس المال قليلا كان أو كثيراً فهو ربا .

أما الذين قالوا : إن الربا لا يحرم إلا إذا كان أضعافاً مضاعفة ، فإنه يُردّ عليهم بقوله تعالى (فلكم رؤوس أموالكم لاتظلمون ولاتظلمون) .

ويُرد عليهم كذلك بأن هذه الآيات السابقة فى تحريم الربا ، والتى وردت فى سورة البقرة من أواخر التشريعات نزولا ، فليس هناك حجة لمن قال بأن حرمة الربا إنما تكون إذا كان أضعافاً مضاعفة .

حرمة الربا بطريق السنة

وكما ثبتت حرمة الربا بالكتاب الكريم ، كذلك ثبتت بطريق السنة المطهرة .

فقد جاء فى ذلك أحاديث كثيرة ، نذكر منها ما رواه البخارى ومسلم وأحمد وأبو داود والترمذى وصححه عن جابر بن عبد الله أن رسول الله ﷺ قال: « لعن الله آكل الربا ، ومؤكله وشاهديه ، وكاتبه» .

فانظر إلى لعنة المتعاملين بالربا ، وكيف شملت حتى الكاتب والشاهدين.

أليس فى هذا دليل صريح على حرمة هذا الفعل الشنيع ؟ .

وقد جاء الربا فى حديث عن رسول الله ﷺ ضمن السبع الموبقات.

روى البخارى ومسلم عن أبى هريرة أن النبى ﷺ قال « اجتنبوا السبع الموبقات ، قالوا : وما هن يا رسول الله ؟ قال : الشرك بالله ، والسحر ، وقتل النفس التى حرم الله إلا بالحق ، وأكل الربا ، وأكل مال اليتيم ، والتولى يوم الزحف ، وقذف المحصنات الغافلات المؤمنات » .

قوة الإيمان بالله

الإيمان صانع المعجزات ، إذا تمكنت بشاشته من شغاف القلوب يكاد يجعل المستحيل ممكناً ، والملح الأجاج عذباً فراتاً سلسبيلا .

فإذا أوتى الإنسان هذه النعمة الإلهية ، وعمر قلبه بها ، هانت عليه الدنيا ، ولذا كانت العارفة بالله رابعة العدوية تقول :

لو كانت الدنيا كلها ملكا لواحد ما كان بها غنياً ، قيل لها : ولم ؟ قالت : لأنها تفنى وهو صائر إلى زوال ، ثم أنشدت تقول لرب العزة :

فليتك تحلو والحياة مريرة ... وليتك ترضى والأنام غضاب

وليت الذى بينى وبينك عامر ... وبينى وبين العالمين خراب

إذا صح منك الود فالكل هين ... وكل الذى فوق التراب تراب

أثناء مطافنا مع حديث رسول الله ﷺ ليلة إسرائه ، وقفنا على هذا المشهد الذى يدعو كل مؤمن أن يفخر بقوة الإيمان ، وثبات العقيدة .

فبينما الرسول فى طريقه إلى بيت المقدس ، إذ شم ريحاً طيباً قد عطر الجو بأريجه ، فسأل الأمين جبريل عن مصدر هذه الرائحة الطيبة .

فبأى شىء أجابه ؟

نترك الإمام البيهقى يحدثنا بسنده إلى رسول الله ﷺ ليوضح لنا هذا المشهد الكريم :

قال الحافظ البيهقي : أخبرنا علي بن أحمد بن عبد الله ، قال أخبرنا أحمد ابن عبد الستار ، قال حدثنا دبيس المعدل ، قال حدثنا عفان ، قال حدثنا حماد ابن سلمة عن عطاء بن السائب ، عن سعيد بن جبير ، عن ابن عباس قال : قال رسول الله ﷺ « لما أسرى بي مرت بي رائحة طيبة ، فقلت ما هذه الرائحة ؟ قال : ماشطة بنت فرعون وأولادها ، سقط المشط من يدها فقالت : بسم الله ، فقالت بنت فرعون (أبي ؟) قالت : ربي وربك ورب أبيك ، قالت : أوَ لَكِ رب غير أبي ؟ قالت : نعم ، ربي وربك ورب أبيك الله . قال فدعاها ، فقال : ألكِ رب غيري ؟ قالت : نعم ، ربي وربك الله عز وجل . قال : فأمر ببقرة من نحاس فأحميت ثم أمر بها أن تلقى فيها . قالت : إن لي إليك حاجة ، قال : ما هي ؟ قالت : تجمع عظامي وعظام ولدي في موضع ، قال : ذاك لك لما لكِ علينا من الحق . قال : فأمر بهم فألقوا واحداً واحداً حتى بلغ رضيعاً فيهم ، فقال : يا أمه قعي ولا تقاعسي فانك على الحق » .

وقد ذكر أهل العلم أن هذا الرضيع أحد الذين تكلموا في المهد ، وقد كرم الله هذه السيدة المؤمنة فبعث من قبرها ريحاً طيبة حملت بين ثناياها أريج الجنة إلى أن شمها سيد الخلق ليلة إسرائه . وهذا جزاء المؤمنين الصادقين ، طابت قلوبهم ، وعمرت بحلاوة الإيمان ، فانبعثت من قبورهم الروائح الزاكية والشذى الطيب (إن للمتقين مفازاً . حدائق وأعناباً) .

فضل الجهاد فى سبيل الله

وهذه صورة مشرقة كريمة ، شهدها النبى ﷺ ليلة إسرائه ، وهى تدل على فضل الجهاد فى سبيل الله .

فقد روى الإمام أبو جعفر بن جرير فى تفسير سورة الإسراء بسنده قال : قال أبو هريرة رضى الله عنه « ... ثم أتى رسول الله ﷺ على قوم يزرعون فى يوم ويحصدون فى يوم ، كلما حصدوا عاد كما كان ، فقال النبى ﷺ : يا جبريل ما هذا ؟ قال : هؤلاء المجاهدون فى سبيل الله ، تضاعف لهم الحسنة بسبعمائة ضعف ، وما أنفقوا من شىء فهو يخلفه وهو خير الرازقين » .

وقد صدق رب العزة إذ يقول : (يا أيها الذين آمنوا هل أدلكم على تجارة تنجيكم من عذاب أليم . تؤمنون بالله ورسوله ، وتجاهدون فى سبيل الله بأموالكم وأنفسكم ذلكم خير لكم إن كنتم تعلمون . يغفر لكم ذنوبكم ، ويدخلكم جنات تجرى من تحتها الأنهار خالدين فيها ومساكن طيبة فى جنات عدن ذلك الفوز العظيم) [الصف ١٠ ـ ١٢]

ولو علم الناس فضل الجهاد والاستشهاد ، لهانت عليهم هذه الحياة الدنيا ، ولأقبلوا على الشهادة يطلبونها بسماحة نفس ، وشغف وشوق .

ففى حديث عن النبى ﷺ أنه قال « للشهيد عند الله ست خصال : يغفر له فى أول دفقة من دمه ، ويرى مقعده من الجنة ، ويحلى حلة الإيمان ، ويزوج من الحور العين ، ويجار من عذاب القبر ، ويأمن من الفزع الأكبر » ، وزاد بعضهم « ويوضع على رأسه تاج الوقار ، الياقوتة منه خير من الدنيا وما فيها ، ويشفع فى سبعين من أهله » .

تم بحمد الله وتوفيقه كتاب « صور من عظمة الإسلام »

(ربنا اغفر لنا ولإخواننا الذين سبقونا بالإيمان ، ولا تجعل فى قلوبنا غلاً للذين آمنوا ، ربنا إنك رءوف رحيم) .

وقد كان الفراغ من تأليف هذا الجزء مساء يوم الثلاثاء الموافق الثلاثين من شوال سنة ١٣٩٢ هجرية — الموافق الخامس من شهر ديسمبر سنة ١٩٧٢ ميلادية .

صححه وراجعه

محمود غانم غيث

فهـــرس

صفحة	الموضوع
٣	الإهداء
٥	مقدمة الكتاب
٩	شخصية الرسول ﷺ
١٠	الجانب الخِلقى
١٣	الجانب الخُلقى
١٨	الوحى
١٩	صور الوحى التى وردت عن رسول الله ﷺ
٢٤	بشائر النبوة
٢٤	صور الوحى
٢٥	الصحابة يشاهدون ساعة الوحى
٢٨	شبهات باطلة
٣٤	ماذا قالوا عن الوحى ؟
٣٥	تهمة باطلة
٣٥	هذه فرية ما فيها مرية
٣٦	رد الدكتور يحيى طاهر على فرية اتهام الرسول ﷺ بمرض الصرع
٤٦	لقاء آخر مع جبريل
٤٨	رؤيا الأنبياء وحى

صفحة	الموضوع
٤٩	نموذج آخر
٤٩	نماذج أخرى
٥١	آيات كبرى
٥٢	النهى عن الغيبة
٥٤	صور مشرقة
٥٦	صور مختلفة
٦٠	أهل السعادة وأهل الشقاوة
٦١	الحلال والحرام
٦٣	مال اليتيم
٦٤	جريمة الزنا
٦٦	الإسلام وصيانة العرض
٦٨	آراء الفقهاء
٦٩	رأى آخر
٧٠	أنواع الزناة
٧٠	حد البكر
٧٠	الجمع بين الجلد والتغريب
٧١	الزانى المحصن
٧٢	شروط الإحصان
٧٥	هل يجمع بين الجلد والرجم ؟
٧٥	معانى الإحصان
٧٦	بم يثبت حد الزنا ؟
٧٩	سقوط الحد

صفحة	الموضوع
٧٩	رحمة الإسلام
٨٠	الشذوذ الجنسى
٨١	ما عقوبة من أتى هذا العمل ؟
٨١	ما رأى الفقهاء
٨٣	الاستمناء
٨٤	آراء الفقهاء فيها
٨٥	ما العلاج ؟
٨٧	ماذا يقول العلم ؟
٨٩	الزهرى
٩٣	الزهرى والجهاز العصبى
٩٤	السيلان
٩٥	إصابة المرأة
٩٧	القرحة الرخوية
٩٨	القرحة الأكالة
٩٨	ماذا يقول العلم عن الشذوذ الجنسى ؟
١٠١	أكلة الربا
١٠٢	ما هو الربا ؟
١٠٢	ما حكمه ؟
١٠٤	حرمة الربا بطريق السنة
١٠٥	قوة الإيمان بالله
١٠٧	فضل الجهاد فى سبيل الله

رقم الايداع بدار الكتب
٣٢٠٨

المؤلف فى سطور



- عبد الحميد عبد العزيز محمد كشك
- من مواليد بلدة شبراخيت ، من أعمال محافظة البحيرة عام ١٩٣٣ م .
- التحق بجمعية تحفيظ القرآن الكريم ، حيث أتم حفظه فى الثانية عشرة .
- التحق بالقسم الابتدائى بمعهد الاسكندرية الدينى .
- وبعد حصوله على الشهادة الابتدائية ، أنعم الله عليه بفقد البصر ، فواصل الطريق فى طلب العلم بجد ومثابرة ، بعد ما قضى حولين من عمره يطلب العلاج ، ولكنه حمد الله على قدره ، فان الله يعوض عن نور البصر ذكاء البصيرة .
- التحق بمعهد القاهرة الثانوى ، وكان الأول على فرقته دائما ، بل لقد حصل على مجموع مائة فى المائة عندما انتقل من الثالثة الى الرابعة فى القسم الثانوى ، وحصل فى الشهادة الثانوية على مجموع ٥ر٩٨٪ .
- ثم التحق بكلية أصول الدين ، حيث حصل على الشهادة العالية ، وكان ترتيبه الأول ، ومثل الأزهر الشريف فى عيد العلم عام ١٩٦١ م .
- ثم حصل بعد ذلك على شهادة العالمية مع تخصص التدريس العالى .
- عمل اماما وخطيبا بمساجد وزارة الأوقاف .
- يعمل الآن اماما وخطيبا بمسجد عين الحياة (الملك سابقا) منذ عام ١٩٦٤ م .
- يؤمن بالعمل على أنه رسالة لا وظيفة .
- يحترم جمهوره فيخاطبهم بما يحتاجون اليه فى حل مشاكلهم اليومية ، فى ضوء الشريعة الاسلامية .
- شعاره فى محاضراته ذلك النداء : هنا مدرسة محمد صلى الله عليه وسلم .

دار الاعتصام
للطبع والنشر والتوزيع
القاهرة ٨ شارع حسين حجازى
تليفون ٣١٧٤٨



دار العلوم للطباعة بالقاهرة
ت : ٣١٧٤٨

١٥ قرشا